أَبْطَالٌ حَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ

تأليف

دكتور: علي راشد

الحائز على جائزة الدولة التشجيعية في أدب الأطفال

رسوم

عبد الرحمن بكر

الدار النموذجية للطباعة والنشر

صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/8355
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 00961 7 729261
صيدا - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا - جزين
00961 7 230841 - 07 230195
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
2020 م - 1441 هـ

Copyright© all rights reserved
جميع الحقوق محفوظة للناشر
لا يجوز نشر، أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت ألكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدمًا.

alassrya@terra.net.lb
E. Mail: alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.alassrya.com

المحتويات

مُقَدِّمَةٌ ... 5

سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ

الْبَاحِثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ ... 6

صُهَيْبٌ الرُّومِيُّ

رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَى ... 11

بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ

مُؤَذِّنُ الرَّسُولِ ﷺ ... 15

مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ

أَوَّلُ سَفِيرٍ فِي الْإِسْلَامِ ... 20

الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو

أَوَّلُ فُرْسَانِ الْإِسْلَامِ ... 26

حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ

عَدُوُّ النِّفَاقِ وَصَاحِبُ الْبَصِيرَةِ ... 31

عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ

رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ... 35

أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ

أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ... 40

عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ

مِنْ زُعَمَاءِ الْأَنْصَارِ ... 44

زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ
حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... 49
جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
أَبُو الْمَسَاكِينِ أَشْبَهُ النَّاسِ بِالرَّسُولِ ﷺ خَلْقًا وَخُلُقًا ... 53
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ
شَاعِرُ الرَّسُولِ ﷺ ... 58
الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ
جَارُ الرَّسُولِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ ... 62
خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ
فِدَائِيٌّ مِنَ الْأَوَائِلِ ... 67
أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ
الَّذِي اسْتَضَافَ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَارِهِ ... 72
الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ
عَاشِقُ الشَّهَادَةِ ... 77
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ
يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَبْوًا ... 82
سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ
اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِهِ ... 87
زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ
صَقْرُ يَوْمِ الْيَمَامَةِ ... 92
سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ
حَامِلُ رَايَةِ الْأَنْصَارِ ... 96
أَسْئِلَةٌ عَامَّةٌ عَلَى الْكِتَابِ ... 100

مُقَدِّمَة

لَمْ يَشْهَدْ تَارِيخُ الْإِنْسَانِيَّةِ رِجَالًا مِثْلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَ «مُحَمَّدٍ» رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَقَدُوا الْعَزْمَ، وَأَخْلَصُوا النِّيَّةَ، وَبَذَلُوا الْعَطَاءَ، وَقَدَّمُوا التَّضْحِيَةَ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْأَهْلِ؛ لِتَعْلُوَ كَلِمَةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا هِيَ السُّفْلَى.

سَنَعْرِضُ فِي هَذَا الْكِتَابِ سِيَرَ بَعْضِ أَبْطَالٍ حَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ، أَبْطَالٍ قَدَّمُوا أَرْوَعَ وَأَسْمَى مَعَانِي الْفِدَاءِ، رِجَالٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ (سُورَةُ الْأَحْزَابِ: 23).

لَقَدْ بَاعَ هَؤُلَاءِ الْأَبْطَالُ حَيَاتَهُمُ الدُّنْيَا، وَاشْتَرَوُا الْآخِرَةَ، وَالْتَفُّوا حَوْلَ نَبِيِّهِمُ الْكَرِيمِ ﷺ، فَفَازُوا فَوْزًا عَظِيمًا. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (سُورَةُ التَّوْبَةِ: 111).

هَيَّا نَتَعَرَّفْ عَلَى «أَبْطَالٍ حَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ».

الْمُؤَلِّفُ

سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ
الْبَاحِثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ

وُلِدَ هَذَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ فِي بِلَادِ فَارِسَ (إِيرَانَ حَالِيًّا)، فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا «جي» فِي مِنْطَقَةِ «أَصْبَهَانَ»، وَكَانَ أَبُوهُ رَجُلًا غَنِيًّا يَمْتَلِكُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَضَيْعَةً كَبِيرَةً، بَنَى فِيهَا بِنَاءً عَالِيًا، وَكَانَ يَعْتَنِقُ دِينَ الْمَجُوسِيَّةِ (عَبَدَةِ النَّارِ). وَقَدْ أَحَبَّ وَلَدَهُ كَثِيرًا، وَلِخَوْفِهِ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهُ يَذْهَبُ بَعِيدًا لِيَظَلَّ دَائِمًا تَحْتَ نَظَرِهِ، وَاجْتَهَدَ الِابْنُ فِي دِينِ أَبِيهِ الْمَجُوسِيَّةِ، فَقَدْ حَرَصَ أَنْ تَكُونَ النَّارُ الَّتِي يَعْبُدُهَا أَهْلُهُ لَا تَخْبُو أَبَدًا.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ أَرْسَلَهُ أَبُوهُ إِلَى ضَيْعَتِهِ؛ لِيَرَى هَذَا الْبِنَاءَ الْعَالِيَ وَيَتَفَقَّدَهُ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَهَابِهِ إِلَى الضَّيْعَةِ مَرَّ بِكَنِيسَةٍ لِنَصَارَى يُصَلُّونَ فِيهَا وَيُرَتِّلُونَ كَلِمَاتٍ مِنَ الْإِنْجِيلِ، فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى وَمَا سَمِعَ، وَعِنْدَمَا أَخْبَرَ أَبَاهُ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ يَرَى أَنَّ دِينَهُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِ الْمَجُوسِيَّةِ، حَاوَرَهُ أَبُوهُ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْمُحَاوَرَةَ لَمْ تَأْتِ بِنَتِيجَةٍ.

فَغَضِبَ الْأَبُ عَلَى ابْنِهِ وَحَبَسَهُ فِي الْبَيْتِ، وَوَضَعَ حَدِيدًا فِي رِجْلَيْهِ، وَلَكِنَّ الِابْنَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَهْرُبَ، وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ حَيْثُ عَرَفَ أَنَّ هُنَاكَ رُهْبَانًا وَقَسَاوِسَةً نَصَارَى، وَحَاوَلَ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى مَبَادِئِ دِينِهِمْ، وَلَكِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْعَدِيدِ مِنْ هَؤُلَاءِ الرُّهْبَانِ وَالْقَسَاوِسَةِ، وَلَمْ يَقْتَنِعْ بِأَفْكَارِهِمْ أَوْ عَقِيدَتِهِمْ، فَرَحَلَ إِلَى مَدِينَةِ «عَمُورِيَّةَ» فِي بِلَادِ الرُّومِ، وَتَعَرَّفَ عَلَى عَابِدٍ حَكِيمٍ أَخْبَرَهُ

قَبْـلَ مَوْتِهِ بِأَنَّ عَلَيْـهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ؛ حَيْثُ يَبْعَـثُ اللَّهُ نَبِيًّا يَدِينُ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ سَيُهَاجِرُ إِلَى بَلَدٍ ذَاتِ نَخْلٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، وَأَنَّ أَهَـمَّ صِفَاتِهِ أَنَّهُ لَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَلَكِنَّهُ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَأَنَّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَامَةً هِيَ «خَاتَمُ النُّبُوَّةِ».

وَفِي أَحَـدِ الْأَيَّـامِ مَرَّتْ قَافِلَةٌ، وَعِنْدَمَا سَـأَلَهُمْ عَنْ بِلَادِهِـمْ قَالُوا إِنَّهُمْ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَقَالَ لَهُمْ:

ـ أُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي وَغَنَمِي هَذِهِ عَلَى أَنْ تَحْمِلُونِي مَعَكُمْ إِلَى أَرْضِكُمْ.

فَوَافَقُـوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ عِنْدَمَا وَلَّوْا إِلَى قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، بَاعُوهُ كَعَبْدٍ مِنَ الْعَبِيدِ إِلَى رَجُلٍ يَهُودِيٍّ مِنْ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ!!

وَعَمِلَ «سَـلْمَانُ» زَمَنًا طَوِيلًا عِنْدَ هَذَا الْيَهُودِيِّ، حَتَّى سَمِعَ يَوْمًا أَنَّ نَبِيًّا ظَهَـرَ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ وَهُوَ يُنَادِي بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنْ يَتْرُكَ النَّاسُ عِبَادَةَ الْأَصْنَـامِ، وَأَنَّهُ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، فَأَخَذَتْهُ رَجْفَةٌ شَـدِيدَةٌ، وَذَهَـبَ فِي الْمَسَـاءِ إِلَى «قُبَاءَ» حَيْثُ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِـسُ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَدَّمَ لَهُمْ «سَلْمَانُ» طَعَامًا وَقَالَ:

ـ هَذَا طَعَامٌ نَذَرْتُهُ صَدَقَةً.

فَأَكَلَ الصَّحَابَةُ إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ «سَلْمَانُ» فِي نَفْسِهِ:

ـ هَذِهِ وَاللَّهِ وَاحِدَةٌ؛ حَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ لَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ.

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي حَمَلَ «سَلْمَانُ» طَعَامًا وَقَدَّمَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ عَلَى أَنَّهُ هَدِيَّةٌ، فَأَكَلَ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ النَّبِيُّ ﷺ وَالصَّحَابَةُ، فَقَالَ «سَلْمَانُ» لِنَفْسِهِ:

ـ هَذِهِ وَاللَّهِ الثَّانِيَةُ؛ حَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ.

ثُمَّ عَادَ بَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ إِلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ فَوَجَدَهُ فِي الْبَقِيعِ قَدْ تَبِعَ جِنَازَةً وَحَوْلَهُ أَصْحَابُهُ. فَأَخَذَ «سَلْمَانُ» يُحَاوِلُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَعِنْدَمَا عَرَفَ ﷺ مَا يَقْصِدُهُ كَشَفَ لَهُ عَمَّا بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَإِذَا بِتِلْكَ الْعَلَامَةِ «خَاتَمِ النُّبُوَّةِ»، فَأَخَذَ «سَلْمَانُ» يَبْكِي بِشِدَّةٍ، وَيُقَبِّلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ، وَلَكِنَّهُ مَا زَالَ عَبْدًا عِنْدَ الْيَهُودِيِّ، وَهَذَا مَا جَعَلَهُ لَا يُشَارِكُ فِي مَعْرَكَتَيْ بَدْرٍ وَأُحُدٍ.

وَأَعَانَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَاهُمْ «سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ» كَيْ تُعْتَقَ رَقَبَتُهُ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، فَدَفَعُوا ثَمَنَ عِتْقِهِ، وَأَصْبَحَ «سَلْمَانُ» ﷺ حُرًّا، يَقْتَرِبُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ رَبِّهِ، وَمِنْ رَسُولِهِ ﷺ.

وَجَاءَتْ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ، وَأَقْبَلَتْ جُيُوشُ الْكُفْرِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ تَحْتَ قِيَادَةِ «أَبِي سُفْيَانَ»، وَرَأَى الْمُسْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي مَوْقِفٍ عَصِيبٍ، فَجَمَعَ الرَّسُولُ ﷺ أَصْحَابَهُ لِيُشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَتَقَدَّمَ «سَلْمَانُ» ﷺ وَأَلْقَى نَظْرَةً فَاحِصَةً مِنْ فَوْقِ هَضْبَةٍ عَالِيَةٍ مُطِلَّةٍ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَوَجَدَهَا مُحَصَّنَةً بِالْجِبَالِ وَالصُّخُورِ إِلَّا مِنْ فَجْوَةٍ وَاسِعَةٍ، يَسْتَطِيعُ الْأَعْدَاءُ اقْتِحَامَهَا بِسُهُولَةٍ، فَاقْتَرَحَ ـ مِنْ خِلَالِ خِبْرَتِهِ الْحَرْبِيَّةِ فِي بِلَادِ فَارِسَ ـ أَنْ يَتِمَّ حَفْرُ خَنْدَقٍ عَمِيقٍ يُغَطِّي جَمِيعَ الْمَنَاطِقِ الْمَكْشُوفَةِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ.

وَبِالْفِعْلِ تَمَّ حَفْرُ الْخَنْدَقِ، وَعِنْدَمَا جَاءَ جَيْشُ الْكُفَّارِ صُعِقَ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ، وَعَجَزُوا عَنِ اقْتِحَامِ الْمَدِينَةِ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا عَاتِيَةً.. لَمْ يَسْتَطِيعُوا مَعَهَا إِلَّا الرَّحِيلَ وَالْعَوْدَةَ خَائِبِينَ إِلَى دِيَارِهِمْ. وَقَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (سُورَةُ الْأَحْزَابِ: 9).

وَوَقَفَ الْأَنْصَارُ يَقُولُونَ:

ـ «سَلْمَانُ مِنَّا».

وَوَقَفَ الْمُهَاجِرُونَ يَقُولُونَ:

ـ «بَلْ سَلْمَانُ مِنَّا».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

ـ «سَلْمَانُ مِنَّا آلَ الْبَيْتِ».

وَأُوتِيَ «سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ» ﷺ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، فَكَانَ فِي عِلْمِهِ مِثْلَ الْبَحْرِ الْمُتَّسِعِ، وَلَقَّبَهُ «عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» ﷺ بِـ «لُقْمَانَ الْحَكِيمِ»؛ لِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَآرَائِهِ السَّدِيدَةِ.

وَعَاشَ «سَلْمَانُ» مَعَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ، كَمَا عَاشَ مَعَ خَلِيفَتِهِ «أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ» ﷺ، ثُمَّ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» ﷺ، وَفِي عَهْدِهِ عُيِّنَ أَمِيرًا عَلَى مِنْطَقَةِ الْمَدَائِنِ، رَغْمَ أَنَّهُ كَانَ يَرْفُضُ الْإِمَارَةَ تَمَامًا، وَكَانَ يَقُولُ:

ـ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَأْكُلَ التُّرَابَ وَلَا تَكُونَنَّ أَمِيرًا عَلَى اثْنَيْنِ، فَافْعَلْ!

وَسُئِلَ عَنْ سَبَبِ ابْتِعَادِهِ عَنِ الْإِمَارَةِ فَقَالَ:

ـ حَلَاوَةُ رَضَاعُهَا، وَمَرَارَةُ فِطَامُهَا.

وَتَبَرَّعَ «سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ» ﷺ بِرَاتِبِهِ السَّنَوِيِّ كَأَمِيرٍ عَلَى الْمَدَائِنِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَكَانَ يَأْكُلُ وَأُسْرَتُهُ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ؛ حَيْثُ كَانَ يُجِيدُ عَمَلَ الْأَوْعِيَةِ وَالْآنِيَةِ مِنْ تَضْفِيرِ الْخُوصِ، وَمِنْ بَيْعِ هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ وَتِلْكَ الْآنِيَةِ كَانَ يَتَعَيَّشُ مِنْ ثَمَنِهَا هُوَ وَأُسْرَتُهُ.

وَفِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ «عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ» ﷺ، مَرِضَ «سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ» ﷺ مَرَضَ الْمَوْتِ، فَقَالَ لِزَوْجَتِهِ أَعْطِينِي صُرَّةَ الْمِسْكِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ نَصِيبِهِ فِي أَحَدِ الْفُتُوحَاتِ، وَعِنْدَمَا جَاءَتْ زَوْجَتُهُ بِالصُّرَّةِ، طَلَبَ مِنْهَا قَدَحَ مَاءٍ، ثُمَّ أَخَذَ يُذِيبُ الْمِسْكَ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ قَالَ لِزَوْجَتِهِ:

ـ انْثُرِي مَاءَ الْمِسْكِ هَذَا حَوْلِي، فَإِنَّ خَلْقًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ سَيَحْضُرُونَنِي الْآنَ، لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَإِنَّمَا يُحِبُّونَ الطِّيبَ.

فَلَمَّا فَعَلَتْ زَوْجَتُهُ مَا طَلَبَ مِنْهَا، قَالَ لَهَا:

ـ اتْرُكِينِي الْآنَ وَغَلِّقِي الْبَابَ عَلَيَّ.

وَبَعْدَ بُرْهَةٍ رَجَعَتْ زَوْجَتُهُ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتْ أَنَّ رُوحَهُ الْمُبَارَكَةَ قَدْ فَارَقَتْ جَسَدَهُ، حَيْثُ كَانَ عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ الْحَبِيبِ «مُحَمَّدٍ» ﷺ، وَصَاحِبَيْهِ «أَبِي بَكْرٍ» وَ«عُمَرَ» ﷺ، وَجُمُوعٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ وَالْأَبْرَارِ.

صُهَيْبٌ الرُّومِيُّ
رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَى

وُلِـدَ هَذَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ فِي قَصْرِ أَبِيهِ «سِـنَانِ بْـنِ مَالِكٍ» حَاكِمِ وِلَايَةِ الْأُبُلَّةِ (الْبَصْرَةِ حَالِيًّا) بِالْعِرَاقِ، وَقَدْ وَلَّاهُ كِسْـرَى مَلِكُ الْفُرْسِ عَلَيْهَا، وَعَاشَ «صُهَيْبٌ» سَعِيدًا، يَنْعَمُ بِثَرَاءِ أَبِيهِ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ أَغَارَتْ سَـرِيَّةٌ مِنْ سَـرَايَا جَيْشِ الرُّومِ عَلَى الْبَلْدَةِ، فَقَتَلَتْ حُرَّاسَـهَا، وَنَهَبَتْ أَمْوَالَهَا، وَأَسَـرُوا الْعَدِيدَ مِنْ أَهْلِهَـا، وَكَانَ «صُهَيْبٌ» مِنْ هَـؤُلَاءِ الْأَسْـرَى، فَتَمَّ بَيْعُهُ فِي أَسْـوَاقِ الْعَبِيدِ بِبِلَادِ الرُّومِ، فَـكَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ خِدْمَةِ سَيِّدٍ إِلَى خِدْمَةِ سَيِّدٍ آخَرَ.

وَمَضَتِ السَّـنَوَاتُ وَالْأَعْوَامُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، أَجَادَ فِيهَا الْفَتَى لُغَةَ الرُّومِ، وَنَسِـيَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّـةَ، وَلَمْ يَنْسَ أَنَّهُ عَرَبِيُّ الْأَصْـلِ، وَذَهَبَ ضِمْنَ قَافِلَةٍ إِلَى مَكَّةَ، حَيْثُ تَمَّ بَيْعُهُ إِلَى أَحَدِ التُّجَّارِ الْعَرَبِ، وَهُوَ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ» الَّذِي أُعْجِبَ بِهِ كَثِيرًا لِذَكَائِهِ وَنَشَاطِهِ وَإِخْلَاصِهِ، فَأَعْتَقَهُ وَحَرَّرَهُ، وَهَيَّأَ لَهُ فُرْصَةَ الْإِتِّجَارِ مَعَهُ.

وَسَمِعَ «صُهَيْبٌ» عَنِ الدِّينِ الْجَدِيدِ، فَذَهَبَ إِلَى دَارِ «الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ» حَيْثُ يُوجَدُ الرَّسُـولُ ﷺ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَعِنْدَ الْبَابِ وَجَدَ «عَمَّارَ ابْنَ يَاسِـرٍ» قَدْ جَاءَ أَيْضًا لِيُعْلِنَ إِسْلَامَهُ، فَأَسْلَمَ الِاثْنَانِ مَعًا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَمَامَ الرَّسُولِ ﷺ.

كَانَ «صُهَيْبٌ» جَمِيلَ الْوَجْهِ، أَحْمَرَ الشَّعْرِ، مُمْتَلِئَ النَّشَاطِ، ذَا عَيْنَيْنِ تُشِعَّانِ فِطْنَةً وَنَجَابَةً وَذَكَاءً، ولِثِقَلٍ لِسَانِهِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ بِالْعَرَبِيَّةِ، وحُمْرَةِ شَعْرِهِ، أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ «صُهَيْبٌ الرُّومِيُّ».

حَالَفَ «صُهَيْبٌ» سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ مَكَّةَ، هُوَ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ»، وَأَخَذَ يَعْمَلُ فِي التِّجَارَةِ، فَرَزَقَهُ اللَّهُ رِزْقًا كَثِيرًا وَمَالًا وَفِيرًا.

وَعَانَى «صُهَيْبٌ» مِثْلَمَا عَانَى مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ أَذَى قُرَيْشٍ، فَتَحَمَّلَ كُلَّ ذَلِكَ بِنَفْسٍ صَابِرَةٍ مُؤْمِنَةٍ، وَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ «أَبُوبَكْرٍ الصِّدِّيقُ» ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، عَزَمَ «صُهَيْبٌ» ﷺ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَعِنْدَمَا بَدَأَ مَسِيرَةَ الْهِجْرَةِ، أَحَاطَ بِهِ نَفَرٌ مِنْ شَبَابِ قُرَيْشٍ، وَقَالُوا لَهُ:

ـ لَقَدْ أَتَيْتَ مَكَّةَ صُعْلُوكًا فَقِيرًا، فَاغْتَنَيْتَ وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ.

فَقَالَ لَهُمْ «صُهَيْبٌ» ﷺ:

ـ أَرَأَيْتُمْ إِنْ تَرَكْتُ لَكُمْ مَالِي، أَتُخَلُّونَ سَبِيلِي؟

قَالُوا:

ـ نَعَمْ.

فَدَلَّهُمْ عَلَى مَوْضِعِ مَالِهِ فِي بَيْتِهِ فِي مَكَّةَ، وَأَخَذُوا مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ مَالٍ، وَأَطْلَقُوا سَرَاحَهُ.

وَعِنْدَمَا لَاقَى الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ﷺ فِي قُبَاءَ، وَقَدْ عَرَفَ الرَّسُولُ ﷺ مَا حَدَثَ، قَالَ لَهُ مُبْتَسِمًا: «رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَى» وَكَرَّرَهَا ثَلَاثًا.

وَنَزَلَ فِي هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ قُرْآنٌ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ (سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 207).

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ «صُهَيْبًا» حُبًّا جَمًّا، فَلَقَدْ كَانَ ـ إِلَى جَانِبِ وَرَعِهِ وَتَقْوَاهُ ـ خَفِيفَ الرُّوحِ حَاضِرَ النُّكْتَةِ، رَآهُ الرَّسُولُ ﷺ يَوْمًا يَأْكُلُ رُطَبًا، وَكَانَ بِإِحْدَى عَيْنَيْهِ رَمَدٌ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ ضَاحِكًا:

ـ أَتَأْكُلُ الرُّطَبَ وَفِي عَيْنَيْكَ رَمَدٌ؟!

فَأَجَابَ «صُهَيْبٌ» ﷺ قَائِلًا:

ـ وَأَيُّ بَأْسٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ إِنِّي آكُلُهُ بِعَيْنِي الْأُخْرَى!!

وَكَانَ ﷺ جَوَادًا مِعْطَاءً، يُنْفِقُ كُلَّ عَطَائِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ يُعِينُ مُحْتَاجًا، وَيُغِيثُ مَكْرُوبًا، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ، حَتَّى لَقَدْ أَثَارَ سَخَاؤُهُ الْمُفْرِطُ «عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ» ﷺ، فَقَالَ لَهُ:

ـ أَرَاكَ تُطْعِمُ كَثِيرًا حَتَّى إِنَّكَ لَتُسْرِفُ!

فَأَجَابَ «صُهَيْبٌ» ﷺ قَائِلًا:

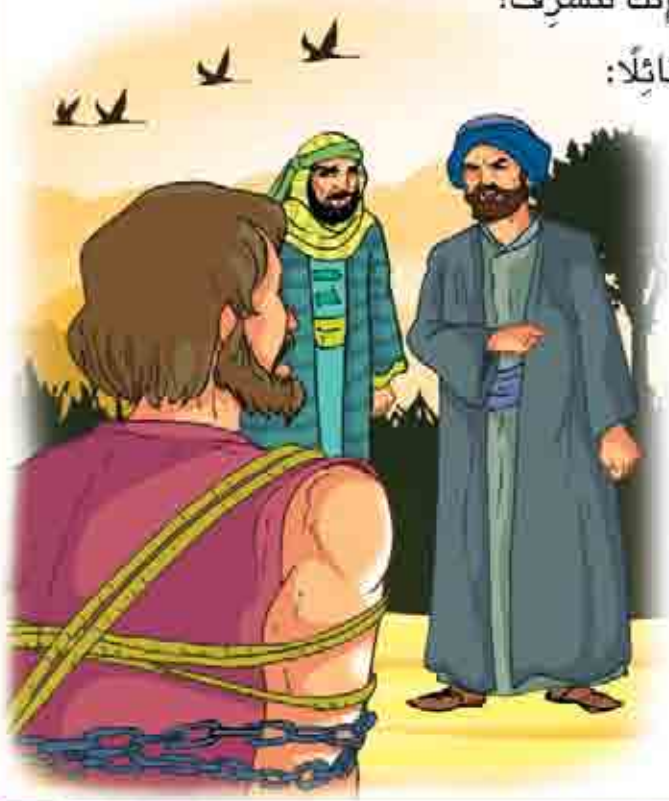

ـ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «خِيَارُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ».

وَلَقَدْ شَهِدَ «صُهَيْبٌ» ﷺ كُلَّ الْغَزَوَاتِ وَالْمَعَارِكِ الَّتِي قَامَتْ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، وَأَبْلَى فِيهَا بَلَاءً حَسَنًا.

وَعِنْدَمَـا اعْتُدِيَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرَ بْـنِ الْخَطَّابِ» ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي بِالْمُسْـلِمِينَ صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَأَحَسَّ نِهَايَةَ أَجَلِهِ، أَوْصَى بِأَنْ يُصَلِّيَ «صُهَيْبٌ» ﷺ بِالنَّاسِ.

إِنَّ «عُمَـرَ بْنَ الْخَطَّابِ» ﷺ، وَخَاصَّةً فِي تِلْكَ اللَّحَظَاتِ الَّتِي تَأْخُذُ رُوحُهُ الطَّاهِـرَةُ طَرِيقَهَـا إِلَى اللَّهِ، تَأَنَّـى فِي الِاخْتِيَارِ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا أَحَدَ أَحْسَـنُ حَظًّـا مِمَّنْ يَقَعُ عَلَيْهِ الِاخْتِيَـارُ، وَلَقَدِ اخْتَارَ «عُمَـرُ» «صُهَيْبًا» لِيَكُونَ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى يَقُومَ الْخَلِيفَةُ الْجَدِيدُ بِأَعْبَاءِ مُهِمَّتِهِ، اخْتَارَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِي لِسَـانِهِ عُجْمَةً، فَكَانَ هَـذَا الِاخْتِيَارُ مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ الصَّالِحِ «صُهَيْبٍ الرُّومِيِّ» ﷺ.

وَفِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الثَّالِثِ «عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ» ﷺ، كَانَ «صُهَيْبٌ» ﷺ دَائِمًا نِعْمَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ، يُنَاصِرُ الْإِسْـلَامَ، وَيُسَـاعِدُ الضَّعِيفَ، وَيَنْصُرُ الْمَظْلُومَ، وَيُعْطِـي الْفَقِيرَ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ.. فَهُوَ مِثَالُ الْمُؤْمِنِ الْحَقِّ.

وَعِنْدَمَـا قُتِلَ «عُثْمَانُ بْنُ عَفَّـانَ» ﷺ، وَأَصْبَحَ «عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» ﷺ هُوَ الْخَلِيفَةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَقَفَ «صُهَيْبٌ» ﷺ بِجَانِبِهِ يُسَـانِدُهُ وَيُنَاصِرُهُ، وَيُعِينُهُ عَلَى تِلْكَ الْفِتْنَةِ الَّتِي أَصَابَتِ الْمُسْـلِمِينَ بَعْدَ مَقْتَلِ الْخَلِيفَةِ «عُثْمَانَ ابْنِ عَفَّانَ» ﷺ.

وَفِي عَامِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَفِي أَثْنَاءِ عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الرَّابِعِ «عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِـبٍ» ﷺ، تُوُفِّيَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ «صُهَيْبٌ الرُّومِيُّ» ﷺ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَدُفِنَ فِي الْبَقِيعِ.

بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ
مُؤَذِّنُ الرَّسُولِ ﷺ

تَمَيَّزَ هَذَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ «بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ» الْحَبَشِيُّ الْأَصْلِ، بِشِدَّةِ سُمْرَةِ الْجِلْدِ، وَكَانَ نَحِيفًا، مُفْرِطَ الطُّولِ، لَهُ شَعْرٌ أَسْوَدُ كَثِيفٌ، وَلَهُ صَوْتٌ عَذْبٌ جَمِيلٌ. كَمَا تَمَيَّزَ بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَكَانَ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِ قُرَيْشٍ يَرْعَى الْغَنَمَ وَالْإِبِلَ لِأَحَدِ سَادَةِ قُرَيْشٍ وَهُوَ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ»، وَهُوَ كَعَبْدٍ لَا حَقَّ لَهُ فِي يَوْمِهِ، وَلَا أَمَلَ لَهُ فِي غَدِهِ.

سَمِعَ «بِلَالٌ» فِيمَا سَمِعَ عَنِ النَّبِيِّ «مُحَمَّدٍ» ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ دِينٍ جَدِيدٍ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَسَمِعَ مِنَ الْقَوْمِ أَحَادِيثَهُمْ عَنْ أَمَانَةِ «مُحَمَّدٍ» ﷺ وَصِدْقِهِ، وَوَفَائِهِ، وَرُجُولَتِهِ وَخُلُقِهِ، وَنَزَاهَتِهِ وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ، وَاقْتَنَعَ هَذَا الْعَبْدُ الْحَبَشِيُّ بِالدِّينِ الْجَدِيدِ عَلَى يَدِ هَذَا الصَّادِقِ الْأَمِينِ، فَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ.

وَانْتَشَرَ هَذَا الْخَبَرُ بَيْنَ أَرْجَاءِ مَكَّةَ، فَذَهَبَ «أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ» وَهُوَ مِنْ سَادَةِ مَكَّةَ إِلَى «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ» يَلُومُهُ عَلَى أَنَّ عَبْدَهُ قَدْ أَسْلَمَ وَاتَّبَعَ دِينَ «مُحَمَّدٍ» ﷺ، فَقَالَ لَهُ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ»: ضُمَّهُ إِلَى عَبِيدِكَ؛ فَلَيْسَ لِي حَاجَةٌ إِلَيْهِ.

وَأَقْسَمَ «أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ» إِنْ لَمْ يَعُدْ هَذَا الْعَبْدُ عَنْ دِينِهِ، لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا، وَخَيَّرَهُ «أُمَيَّةُ» بَيْنَ أَنْ يَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ أَوْ يُعَذِّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا، فَلَمْ يُعِرْ «بِلَالٌ» ﷺ أَيَّ اهْتِمَامٍ لِهَذَا الْقَسَمِ.

وَبَدَأَ «أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ» فِي تَنْفِيذِ قَسَمِهِ، فَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ هَذَا الْعَبْدُ الْعَنِيدُ وَيُلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ الْعَارِي فِي صَحْرَاءِ مَكَّةَ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ، وَأَنْ يَتِمَّ وَضْعُ حَجَرٍ ضَخْمٍ عَلَى صَدْرِهِ، وَ«بِلَالٌ» لَا يَقُولُ شَيْئًا سِوَى: «أَحَدٌ .. أَحَدٌ».

وَيَضْرِبُهُ جَلَّادُهُ بِالسُّوطِ، وَهُمْ يَقُولُونَ لَهُ:

ـ اذْكُرْ آلِهَتَنَا.. اذْكُرِ اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِالْخَيْرِ، وَاذْكُرْ «مُحَمَّدًا» بِسُوءٍ.

فَيَرُدُّ بِلَالٌ: أَحَدٌ .. أَحَدٌ..

مَـرَّ بِهِ يَوْمًا «وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ» وَهُوَ قَرِيبٌ لِلسَّـيِّدَةِ «خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ» ﵂ زَوْجَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَسَمِعَهُ يَقُولُ وَهُوَ يَتَعَذَّبُ: «أَحَدٌ .. أَحَدٌ».

فَقَالَ لَهُ «وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ»:

ـ يَـا بِلَالُ.. لَئِنْ مِتَّ وَأَنْتَ تَقُولُ: أَحَدٌ .. أَحَدٌ .. لَأَتَّخِذَنَّ قَبْرَكَ بَرَكَةً أَزُورُهُ مِنْ آنٍ لِآخَرَ.

وَذَاتَ يَـوْمٍ كَانَ «أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ» يَضْرِبُ «بِلَالًا» بِالسَّـوْطِ ضَرْبًا مُبَرِّحًا، فَمَرَّ عَلَيْهِ «أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ» ﵁، فَقَالَ لَهُ:

ـ يَا «أُمَيَّةُ» أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمِسْكِينِ؟ إِلَى مَتَى سَتَظَلُّ تُعَذِّبُهُ هَكَذَا؟

قَالَ «أُمَيَّةُ»:

ـ أَنْتَ أَفْسَدْتَهُ، فَأَنْقِذْهُ إِذَا أَرَدْتَ.

فَطَلَـبَ «أَبُو بَكْرٍ» ﵁ شِـرَاءَهُ، وَأَعْطَى «أُمَيَّةَ» ثَـلَاثَ أُوقِيَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ «أُمَيَّةُ»:

ـ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَوْ أَعْطَيْتَنِي أُوقِيَّةَ ذَهَبٍ وَاحِدَةً لَبِعْتُهُ لَكَ.

فَقَالَ «أَبُو بَكْرٍ» ﵁:

ـ وَاللَّهِ لَوْ أَبَيْتَ أَنْتَ أَنْ تَبِيعَهُ إِلَّا بِمِائَةِ أُوقِيَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ لَدَفَعْتُهَا إِلَيْكَ!

وَانْطَلَقَ «أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ» وَمَعَهُ «بِلَالٌ» حَتَّى وَصَلَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُبَشِّـرُهُ بِتَحْرِيرِهِ، وَكَانَ عِيدًا عَظِيمًـا، وَأَصْبَحَ «بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ» ﵁ مُلَازِمًا رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ دِينَ الْإِسْـلَامِ. وَبَعْدَ هِجْرَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، آخَى الرَّسُولُ ﷺ بَيْنَ «بِلَالٍ» وَبَيْنَ «أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ» ﵁. وَقَالَ عَنْهُ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﵁: سَيِّدُنَا أَعْتَقَ سَيِّدَنَا.

وَلَقَدْ وَقَعَ اخْتِيَارُ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى «بِلَالٍ» ﷺ لِيَكُونَ أَوَّلَ مُؤَذِّنٍ فِي الْإِسْلَامِ؛ حَيْثُ تَمَيَّزَ بِصَوْتِهِ النَّدِيِّ الشَّجِيِّ الَّذِي يَمْلَأُ الْقُلُوبَ إِيمَانًا، وَالْأَسْمَاعَ رَوْعَةً وَهُوَ يُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ .. اللَّهُ أَكْبَرُ..

وَجَاءَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ.. أَوَّلُ مَعْرَكَةٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَجَيْشِ قُرَيْشٍ، وَأَبْلَى فِيهَا «بِلَالٌ» بَلَاءً حَسَنًا، وَقَبْلَ نِهَايَةِ الْمَعْرَكَةِ لَمَحَ «بِلَالٌ» «أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ»، هَذَا الْكَافِرَ الَّذِي عَذَّبَهُ كَثِيرًا، وَهُنَا صَرَخَ «بِلَالٌ»: أُمَيَّةُ.. أُمَيَّةُ..

وَعِنْدَمَا الْتَفَتَ «أُمَيَّةُ» نَاحِيَةَ الصَّوْتِ، عَاجَلَهُ «بِلَالٌ» بِضَرْبَةِ سَيْفٍ قَضَتْ عَلَيْهِ فِي الْحَالِ.

وَشَهِدَ «بِلَالٌ» ﷺ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَعَارِكَ وَالْغَزَوَاتِ كُلَّهَا، وَوَصَفَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَيَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الثَّامِنِ الْهِجْرِيِّ، تَمَّ تَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَتْ بِالْكَعْبَةِ، وَأَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ «بِلَالًا» أَنْ يُؤَذِّنَ، فَكَانَتْ لَحَظَاتٍ عَظِيمَةً انْتَهَتْ فِيهَا الْوَثَنِيَّةُ وَعِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، وَبَدَأَ فِيهَا عَصْرُ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَلَا «بِلَالٌ» ظَهْرَ الْكَعْبَةِ وَأَذَّنَ فِي أَجْمَلِ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَمُنَاسَبَةٍ.

ذَهَبَ «بِلَالٌ» ﷺ يَوْمًا يَخْطُبُ لِنَفْسِهِ وَلِأَخِيهِ زَوْجَتَيْنِ، فَقَالَ لِأَبِيهِمَا:

ـ أَنَا «بِلَالٌ» وَهَذَا أَخِي، عَبْدَانِ مِنَ الْحَبَشَةِ، كُنَّا ضَالَّيْنِ فَهَدَانَا اللَّهُ، وَكُنَّا عَبْدَيْنِ فَأَعْتَقَنَا اللَّهُ، إِنْ تُزَوِّجُونَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ تَمْنَعُونَا فَاللَّهُ أَكْبَرُ.

وَبِالْفِعْلِ تَزَوَّجَ الْأَخَوَانِ.

وَذَهَبَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى رَبِّهِ رَاضِيًا مَرْضِيًّا، فَكَانَ خَلِيفَتُهُ «أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ» ﷺ، وَذَهَبَ «بِلَالٌ» ﷺ إِلَى خَلِيفَةِ الرَّسُولِ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الرَّحِيلِ إِلَى الشَّامِ،

فَقَالَ لَهُ «أَبُو بَكْرٍ» ﷺ:

- وَمَنْ يُؤَذِّنُ لَنَا؟

قَالَ «بِلَالٌ» ﷺ وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانِ مِنَ الدَّمْعِ:

- إِنِّي لَا أُؤَذِّنُ لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَرَحَلَ «بِلَالٌ» ﷺ إِلَى الشَّامِ، وَقَدْ نَذَرَ بَقِيَّةَ عُمْرِهِ لِلْمُرَابَطَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَمْ يَعُدْ يُؤَذِّنُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَمَا كَانَ يَنْطِقُ فِي أَذَانِهِ: «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ».. تَأْتِيهِ الذِّكْرَيَاتُ وَيَنْقَطِعُ صَوْتُهُ، وَتَنْهَمِرُ دُمُوعُهُ، فَيَبْكِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانُهُ.

وَعِنْدَمَا أَصْبَحَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ أَمِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ، زَارَ الشَّامَ وَالْتَقَى بِـ«بِلَالٍ»، وَتَوَسَّلَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى «عُمَرَ» أَنْ يَحْمِلَ «بِلَالًا» عَلَى أَنْ يُؤَذِّنَ لَهُمْ صَلَاةً وَاحِدَةً فَقَطْ، وَدَعَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «بِلَالًا»، وَقَدْ حَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، وَرَجَاهُ أَنْ يُؤَذِّنَ لَهَا، وَصَعِدَ «بِلَالٌ» عَلَى الْمِئْذَنَةِ وَأَذَّنَ، فَبَكَى الصَّحَابَةُ الَّذِينَ كَانُوا أَدْرَكُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَ«بِلَالٌ» ﷺ يُؤَذِّنُ لَهُ، بَكَوْا كَمَا لَمْ يَبْكُوا مِنْ قَبْلُ قَطُّ، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ أَشَدَّهُمْ بُكَاءً.

وَلَمَّا حَضَرَتْ «بِلَالًا» الْوَفَاةُ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ لِلْهِجْرَةِ قَالَتْ زَوْجَتُهُ:

- وَاحُزْنَاهُ.

فَكَشَفَ «بِلَالٌ» ﷺ الْغِطَاءَ عَنْ وَجْهِهِ وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَقَالَ:

- لَا تَقُولِي وَاحُزْنَاهُ.. قُولِي وَافَرْحَاهُ. غَدًا نَلْقَى الْأَحِبَّةَ، مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ.

وَدُفِنَ تَحْتَ ثَرَى دِمَشْقَ، وَلَهُ هُنَاكَ قَبْرٌ وَمَدْفَنٌ وَمَقَامٌ.

مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ
أَوَّلُ سَفِيرٍ فِي الْإِسْلَامِ

وُلِدَ «مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ» لِأُسْرَةٍ ثَرِيَّةٍ فِي مَكَّةَ، فَشَبَّ مُنَعَّمًا.. لَدَيْهِ كُلُّ مَلَذَّاتِ الْحَيَاةِ، فَكَانَ فِي طَلِيعَةِ شَبَابِ أَهْلِ مَكَّةَ بَهَاءً وَجَمَالًا وَشَبَابًا، فَكَانَ حَدِيثَ الْجَمِيعِ بِمَا فِيهِمُ الْحِسَانُ وَالْفَتَيَاتُ، وَرَغْمَ حَدَاثَةِ سِنِّهِ كَانَتْ تَحْرِصُ النَّدَوَاتُ وَالْمَجَالِسُ عَلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الْفَتَى الرَّائِعُ بَيْنَ شُهُودِهَا، ذَلِكَ أَنَّ أَنَاقَةَ الْمَظْهَرِ وَرَجَاحَةَ الْعَقْلِ كَانَتَا مِنْ خِصَالِ «مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ» الَّتِي تَفْتَحُ لَهُ الْأَبْوَابَ وَالْقُلُوبَ.

وَذَاتَ يَوْمٍ سَمِعَ هَذَا الْفَتَى رَقِيقُ الْمَشَاعِرِ بِمَا كَانَ يُرَدِّدُهُ أَهْلُ مَكَّةَ أَنَّ «مُحَمَّدًا» الصَّادِقَ الْأَمِينَ ﷺ قَدْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ.

وَتَسَلَّلَتْ أَشِعَّةُ الْإِيمَانِ إِلَى قَلْبِ الْفَتَى الطَّاهِرِ، فَبَدَأَ يَبْحَثُ فِي تَكَتُّمٍ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي يَجِدُ فِيهِ هَذَا الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ﷺ، فَعَرَفَ أَنَّهُ يَلْتَقِي مَعَ نَفَرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي دَارِ «الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ» الْقَرِيبَةِ مِنْ جَبَلِ الصَّفَا، فَذَهَبَ عَلَى الْفَوْرِ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ.

وَلَمْ يَكَدْ يَأْخُذُ هَذَا الْفَتَى مَكَانَهُ وَسَطَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَسْتَمِعُ إِلَى آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَتْلُوهَا النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى كَادَ قَلْبُهُ يَنْخَلِعُ مِنْ صَدْرِهِ الْمُتَوَهِّجِ مِنْ شِدَّةِ انْفِعَالِهِ، وَازْدَادَتْ ضَرَبَاتُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى الْمُبَارَكَةَ الْحَانِيَةَ عَلَى هَذَا الصَّدْرِ الْمُنْفَعِلِ، فَهَدَأَ قَلْبُ الْفَتَى، وَلَفَّتْهُ السَّكِينَةُ وَالطُّمَأْنِينَةُ، وَعَلَى الْفَوْرِ أَعْلَنَ الْفَتَى إِسْلَامَهُ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

وَقَرَّرَ «مُصْعَبٌ» أَنْ يَكْتُمَ إِسْلَامَهُ؛ حَتَّى يَتَجَنَّبَ مُعَارَضَةَ أَهْلِهِ، وَخَاصَّةً أُمَّهُ، فِي اعْتِنَاقِ هَذَا الدِّينِ الْجَدِيدِ. وَظَلَّ يَتَرَدَّدُ فِي خَفَاءٍ عَلَى دَارِ «الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ»، وَيَجْلِسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ يَسْتَمِعُ إِلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ بِإِيمَانِهِ، هَادِئُ النَّفْسِ، مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ بِهَذَا الدِّينِ الْقَيِّمِ، وَذَاكَ السُّمُوِّ الرُّوحِيِّ.

وَلَمْ يَدُمْ إِخْفَاءُ إِسْلَامِ هَذَا الْفَتَى الْمُؤْمِنِ طَوِيلًا، فَسُرْعَانَ مَا عَلِمَتْ بِهِ قُرَيْشٌ، وَخَاصَّةً أُمُّهُ الَّتِي حَاوَلَتْ أَنْ تُثْنِيَهُ عَنِ التَّمَسُّكِ بِهَذَا الدِّينِ، فَأَبَى فِي إِصْرَارٍ، وَأَخَذَ يَتْلُو عَلَيْهَا فِي يَقِينٍ وَثَبَاتٍ بَعْضَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهَمَّتْ أُمُّهُ أَنْ تُسْكِتَهُ بِلَطْمَةٍ قَاسِيَةٍ عَلَى وَجْهِهِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمَامَ نُورٍ يُشِعُّ مِنْ وَجْهِ ابْنِهَا الَّذِي زَادَ وَسَامَةً وَجَمَالًا وَهُدُوءًا وَإِقْنَاعًا، فَآثَرَتْ أَنْ تَحْبِسَهُ فِي أَحَدِ أَرْكَانِ دَارِهَا، وَأَحْكَمَتْ غَلْقَ الْبَابِ، وَالْفَتَى صَامِدٌ وَصَابِرٌ، وَوَاثِقٌ بِإِيمَانِهِ بِرَبِّهِ وَرَسُولِهِ.

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ سَمِعَ «مُصْعَبٌ» ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَشَارَ عَلَى بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ، فَاسْتَطَاعَ الْفَتَى أَنْ يُغَافِلَ أُمَّهُ وَحُرَّاسَهُ، وَانْضَمَّ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَاسْتَقَرَّ فِي هَذَا الْبَلَدِ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَّةَ، فَوَجَدَ الْحَالَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، فَعَادَ إِلَى الْحَبَشَةِ مَرَّةً أُخْرَى، وَبَعْدَ فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ أُخْرَى رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ؛ حَيْثُ زَادَ عَدَدُ الْمُؤْمِنِينَ،

وَزَادَتْ قُوَّتُهُمْ، فَصَمَّمَ أَنْ يَبْقَى بِجِوَارِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ وَحَاوَلَتْ أُمُّهُ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ تُعِيدَهُ إِلَى دِينِ أَهْلِهَا، وَلَكِنَّهَا لَمْ تُفْلِحْ قَطُّ، فَقَرَّرَتْ أَنْ تَحْرِمَهُ مِنْ أَمْوَالِهَا، وَتُخْرِجَهُ مِنْ بَيْتِهَا.

فَآثَرَ الْفَتَى حَيَاةَ الْفَقْرِ وَالْجُوعِ.. يَأْكُلُ يَوْمًا وَيَجُوعُ أَيَّامًا، وَيَرْتَدِي أَخْشَنَ الثِّيَابِ، وَلَكِنَّهُ رَاضٍ تَمَامًا عَنْ سُمُوِّ عَقِيدَتِهِ، وَإِيمَانِهِ بِرَبِّهِ، وَأَصْبَحَ إِنْسَانًا آخَرَ يَمْلَأُ الْأَعْيُنَ إِجْلَالًا، وَالنُّفُوسَ رَوْعَةً.

وَاخْتَارَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ «مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ» ﷺ لِيَكُونَ سَفِيرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ لِيُفَقِّهَ الْأَنْصَارَ الَّذِينَ بَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، بِأُمُورِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَلِيَكُونَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مِثَالًا لِلْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنِ دِينًا وَخُلُقًا وَعِلْمًا.

وَلَقَدْ أَثْبَتَ «مُصْعَبٌ» ﷺ بِكِيَاسَتِهِ وَحُسْنِ مُعَامَلَتِهِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ مُحِقًّا عِنْدَمَا اخْتَارَ هَذَا الْفَتَى الْمُؤْمِنَ سَفِيرًا لَهُ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ؛ فَلَقَدْ فَهِمَ «مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ» ﷺ رِسَالَتَهُ تَمَامًا، وَكَانَ نِعْمَ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، مِثْلُ: سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَقَبِيلَتِهِ كُلِّهَا، وَأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ وَقَبِيلَتِهِ كُلِّهَا، فَقَدْ نَجَحَ أَوَّلُ سُفَرَاءِ الْإِسْلَامِ فِي مُهِمَّتِهِ بِتَقْدِيرٍ مُمْتَازٍ.

وَعِنْدَمَا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ صَاحِبُهُ «أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ» ﷺ مِنْ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، اسْتَقْبَلَهُ مُعْظَمُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا عَلَى يَدِ «مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ» ﷺ بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَهُمْ يُنْشِدُونَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاع

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاع

أَيُّهَـــا الْمَبْعُـوثُ فِـينَا جِـئْتَ بِالْأَمْـرِ الْمُطَـاع
جِـئْتَ شَـرَّفْتَ الْمَدِينَه مَرْحَـــبًا يَا خَـــيْرَ دَاع

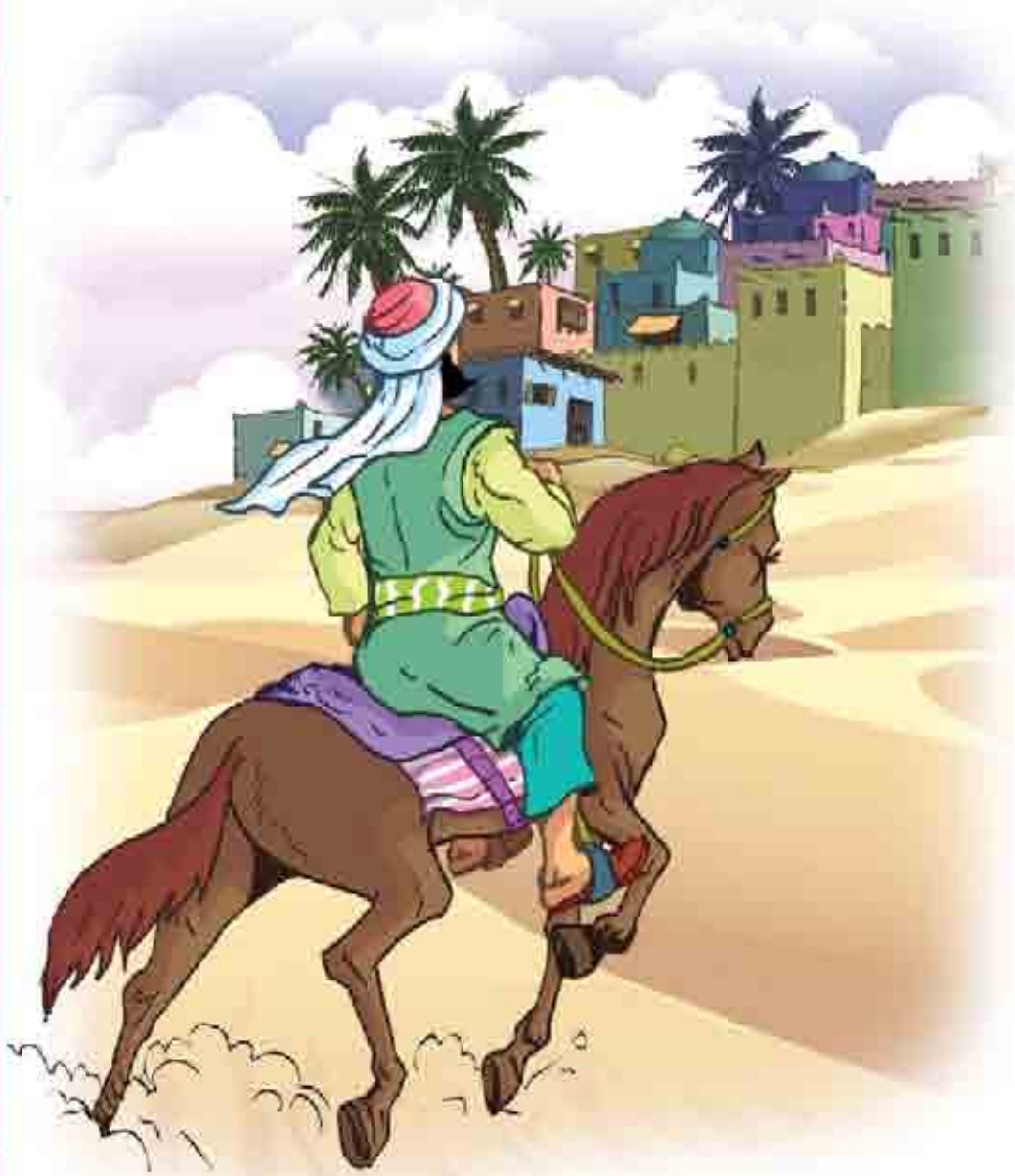

وَتَمْضِي الْأَيَّامُ وَالشُّهُورُ، وَيَتَآخَى الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، وَتَكَوَّنَتْ بِدَايَاتُ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَسَمِعَ بِهَا الْعَرَبُ فِي مُخْتَلِفِ أَنْحَاءِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَفِي الْعَامِ الثَّانِي مِنَ الْهِجْرَةِ تَقُومُ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ، فَيَتَلَقَّى كُفَّارُ قُرَيْشٍ دَرْسًا يُفْقِدُهُمْ صَوَابَهُمْ، وَيُهْزَمُونَ شَرَّ هَزِيمَةٍ، وَيَنْصُرُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ نَبِيَّهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ... ﴾ (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 123).

وَيُبْلِي الشَّابُّ الْمُؤْمِنُ «مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ» ﷺ بَلَاءً حَسَنًا فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ.

وَفِي الْعَامِ الثَّالِثِ مِنَ الْهِجْرَةِ تَسْعَى قُرَيْشٌ لِلثَّأْرِ مِنْ هَزِيمَتِهَا، فَتَقُومُ مَعْرَكَةُ أُحُدٍ، وَيَسْتَعِدُّ الْمُسْلِمُونَ لَهَا، وَيَخْتَارُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ» ﷺ لِيَحْمِلَ الرَّايَةَ (لِوَاءَ الْمُسْلِمِينَ).

وَيَبْدَأُ الْقِتَالُ بِغَلَبَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَلَكِنَّ الرُّمَاةَ يُخَالِفُونَ أَمْرَ الرَّسُولِ ﷺ، وَيُغَادِرُونَ مَوَاقِعَهُمْ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ بَعْدَ أَنْ رَأَوُا الْمُشْرِكِينَ يَنْسَحِبُونَ مَهْزُومِينَ مِنْ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ.

وَلَكِنَّ عَمَلَهُمْ هَذَا جَعَلَ بَعْضَ فُرْسَانِ قُرَيْشٍ يَعْتَلُونَ الْجَبَلَ، فَقَتَلُوا مَنْ بَقِيَ مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَخَذُوا يُمْطِرُونَ الْمُسْلِمِينَ بِالسِّهَامِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَرَاجُعِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَرَادَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ النَّيْلَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاتَّجَهُوا نَاحِيَتَهُ فِي هُجُومٍ شَدِيدٍ.

وَأَدْرَكَ «مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ» الْخَطَرَ الدَّاهِمَ، فَرَفَعَ اللِّوَاءَ عَالِيًا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، وَانْطَلَقَ يَشُقُّ صُفُوفَ الْمُشْرِكِينَ، وَخَاصَّةً بَعْدَ سَمَاعِهِ عَنْ شَائِعَةِ مَقْتَلِ الرَّسُولِ ﷺ، فِي مُحَاوَلَةٍ لِلَفْتِ أَنْظَارِ الْأَعْدَاءِ، وَصَاحَ صَيْحَةَ الْأَسَدِ قَائِلًا:

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ».

فَضَرَبَهُ أَحَدُهُمْ بِالسَّيْفِ عَلَى يَدِهِ الْيُمْنَى فَقَطَعَهَا، فَأَخَذَ «مُصْعَبٌ» ﷺ الرَّايَةَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى، فَضَرَبَهُ عَدُوُّ اللَّهِ عَلَى يَدِهِ الْيُسْرَى فَقَطَعَهَا أَيْضًا، فَضَمَّ الْبَطَلُ اللِّوَاءَ بِعَضُدَيْهِ إِلَى صَدْرِهِ، فَصَوَّبَ هَذَا الْمُشْرِكُ رُمْحَهُ وَرَمَاهُ فِي صَدْرِ «مُصْعَبٍ» ﷺ، فَوَقَعَ اللِّوَاءُ بَعْدَ أَنْ سَقَطَ الشَّابُّ شَهِيدًا عَلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ.

وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الْمَعْرَكَةِ، وَانْسِحَابِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ عَائِدًا إِلَى مَكَّةَ فَرِحِينَ بِهَذِهِ النَّتِيجَةِ، جَاءَ الرَّسُولُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَتَفَقَّدُونَ أَرْضَ الْمَعْرَكَةِ وَيُوَدِّعُونَ شُهَدَاءَهُمْ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنَ امْتِلَاءِ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ بِجُثَثِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ شُهَدَاءِ الصَّحَابَةِ، إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ ﷺ وَقَفَ عِنْدَ جُثْمَانِ «مُصْعَبِ ابْنِ عُمَيْرٍ» ﷺ وَقَالَ:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (سُورَةُ الأَحْزَابِ: 23).

ثُمَّ هَتَفَ ﷺ قَائِلًا لِكُلِّ شُهَدَاءِ أُحُدٍ:

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَشْهَدُ أَنَّكُمُ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا «مُصْعَبُ»، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الشُّهَدَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو
أَوَّلُ فُرْسَانِ الْإِسْلَامِ

يُعَدُّ «الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو» مِنَ الْمُبَكِّرِينَ بِالْإِسْلَامِ؛ فَهُوَ سَابِعُ سَبْعَةٍ جَاهَرُوا بِإِسْلَامِهِمْ، وَقَدْ قَالَ عَنْهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: «أَوَّلُ مَنْ غَدَا بِهِ فَرَسُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو».

وَقَدْ أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ فِي شَجَاعَةٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ أَهْلَ قُرَيْشٍ كَانُوا يُؤْذُونَ كُلَّ مَنْ كَانَ يَدْخُلُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ. وَكَانَ ﷺ يَتَمَيَّزُ بِطُولِ قَامَتِهِ وَشِدَّةِ بَأْسِهِ.

كَانَ وَالِدُهُ «عَمْرُو بْنُ ثَعْلَبَةَ» يَتَمَتَّعُ بِجُرْأَةٍ عَالِيَةٍ وَقُدْرَةٍ فَائِقَةٍ عَلَى اسْتِخْدَامِ السَّيْفِ وَالرُّمْحِ فِي الْقِتَالِ، فَعَلَّمَ وَلَدَهُ «الْمِقْدَادَ» هَذِهِ الْمَهَارَاتِ.

وَعِنْدَمَا وَقَعَ خِلَافٌ بَيْنَ «الْمِقْدَادِ» وَأَحَدِ زُعَمَاءِ كِنْدَةَ فِي حَضْرَمَوْتَ، هَرَبَ «الْمِقْدَادُ» إِلَى مَكَّةَ، فَتَبَنَّاهُ «الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ» أَحَدُ جَبَابِرَةِ قُرَيْشٍ، وَصَارَ اسْمُهُ «الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ». وَدَخَلَ «الْمِقْدَادُ» فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَصَارَ وَاحِدًا مِنْ كِبَارِ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ. وَعِنْدَمَا نَزَلَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَا تُقِرُّ بِالتَّبَنِّي، نُسِبَ الْمِقْدَادُ لِأَبِيهِ «عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ».

شَارَكَ «الْمِقْدَادُ» ﷺ فِي كَافَّةِ غَزَوَاتِ الْإِسْلَامِ، وَلَسَوْفَ يَظَلُّ مَوْقِفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ لَوْحَةً رَائِعَةً؛ فَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي بَدَأَ عَصِيبًا، حَيْثُ أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ فِي جَيْشٍ ضَخْمٍ، وَالْمُسْلِمُونَ قِلَّةٌ فِي الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، فَهُمْ لَمْ يَخُوضُوا مِنْ قَبْلُ قِتَالًا

مِنْ أَجْلِ الْإِسْـلَامِ، فَهَذِهِ أَوَّلُ مَعْرَكَةٍ يَخُوضُونَهَا، وَوَقَفَ الرَّسُولُ ﷺ يَخْتَبِرُ إِيمَانَ الَّذِينَ مَعَهُ، وَرَاحَ يُشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَتَقَدَّمَ «الْمِقْدَادُ» ﷺ وَقَالَ:

- يَـا رَسُـولَ اللَّهِ، امْضِ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ، فَنَحْنُ مَعَـكَ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: «اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ»، بَلْ نَقُولُ لَكَ: «اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ».

فَتَهَلَّلَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ بِشْرًا، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ:

- سِيرُوا وَأَبْشِرُوا.

وَالْتَقَى الْجَمْعَانِ، وَكَانَ فُرْسَانُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةً لَا غَيْرَ: «الْمِقْدَادَ بْنَ عَمْرٍو»، وَ«الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ»، وَ«مَرْثَدَ بْنَ أَبِي مَرْثَدٍ»، بَيْنَمَا بَاقِي الْمُسْـلِمِينَ مُشَاةٌ أَوْ رَاكِبُونَ إِبِلًا.

وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ بِقِيَادَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ عَلَى جَيْشِ الْكُفْرِ، حَيْثُ قُتِلَ مِنْهُمُ الْكَثِيرُ وَأُسِرَ مِنْهُمُ الْكَثِيرُ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ... ﴾ (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 123).

لَقَدْ قَاتَلَ «الْمِقْدَادُ» ﷺ أَهْلَ الشِّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ بِبَسَالَةٍ مُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ، وَحَقَّقَ مَا قَالَهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿ ... كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 249).

لَمْ يَكُنِ «الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو» ﷺ شُجَاعًا فَحَسْبُ، بَلْ كَانَ حَكِيمًا؛ فَقَدْ وَلَّاهُ الرَّسُولُ ﷺ يَوْمًا عَلَى إِحْدَى الْوِلَايَاتِ، فَلَمَّا رَجَعَ سَأَلَهُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ:

- كَيْفَ وَجَدْتَ الْإِمَارَةَ؟

فَأَجَابَ «الْمِقْدَادُ» ﷺ فِي صِدْقٍ:

ـ لَقَدْ جَعَلْتَنِي أَنْظُرُ إِلَى نَفْسِي كَمَا لَوْ كُنْتُ فَوْقَ النَّاسِ، وَهُمْ جَمِيعًا دُونِي، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَتَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا.

وَكَانَ حُبُّ «الْمِقْدَادِ» ﷺ لِلْإِسْلَامِ عَظِيمًا، وَكَانَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ وَاعِيًا حَكِيمًا، وَالْحُبُّ حِينَ يَكُونُ عَظِيمًا وَحَكِيمًا، فَإِنَّهُ يَجْعَلُ مِنْ صَاحِبِهِ إِنْسَانًا عَلِيًّا، وَ«الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو» ﷺ كَانَ مِنْ هَذَا الطِّرَازِ، فَحُبُّهُ لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ مَلَأَ قَلْبَهُ وَشُعُورَهُ بِمَسْئُولِيَّاتِهِ عَنْ سَلَامَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَمْ تَكُنْ تُسْمَعُ فِي الْمَدِينَةِ فَزْعَةٌ، إِلَّا وَيَكُونُ «الْمِقْدَادُ» فِي مِثْلِ لَمْحِ الْبَصَرِ وَاقِفًا عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُمْتَطِيًا صَهْوَةَ فَرَسِهِ رَافِعًا سَيْفَهُ.

وَفِي مَوْقِعَةِ أُحُدٍ بَرَزَ «الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو» ﷺ كَقَائِدٍ يَتَوَلَّى إِمْرَةَ خَيْلِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى جَانِبِ «الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ» ﷺ، وَكَانَ أَحَدَ الْمُسْلِمِينَ الْقَلَائِلِ الَّذِينَ وَقَفُوا إِلَى جَانِبِ الرَّسُولِ ﷺ، عِنْدَمَا لَاذَ الْمُسْلِمُونَ بِالْفِرَارِ وَتَفَرَّقُوا عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، فَدَافَعَ عَنْهُ دِفَاعًا مُسْتَمِيتًا هُوَ وَمَجْمُوعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَعِنْدَمَا أَرَادَ «الْمِقْدَادُ» ﷺ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنَ ابْنَةِ أَحَدِ الْمُسْلِمِينَ، رَفَضَهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ قَبِيلَتِهِ، فَقَصَدَ «الْمِقْدَادُ» رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو مَا أَصَابَهُ. فَزَوَّجَهُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ مِنَ ابْنَةِ عَمِّهِ «ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» ﷺ وَهِيَ تُعَدُّ مِنْ أَعَزِّ بَيْتٍ فِي قُرَيْشٍ، وَمِنْ أَعَزِّ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ.

وَفِي عَصْرِ خَلِيفَةِ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» ﷺ شَارَكَ «الْمِقْدَادُ» ﷺ فِي فَتْحِ مِصْرَ فِي الْحَمْلَةِ الَّتِي كَانَ يَقُودُهَا «عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ» ﷺ، وَكَانَ

«الْمِقْدَادُ» ﷺ فَارِسًا شُجَاعًا يَقُومُ مَقَامَ أَلْفِ رَجُلٍ، عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ «عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ» ﷺ.

وَمَرَّ رَجُلٌ بِـ«الْمِقْدَادِ» يَوْمًا، وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ، فَقَالَ مُخَاطِبًا «الْمِقْدَادَ» ﷺ:

ـ طُوبَى لِهَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ رَأَتَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.. وَاللَّهِ لَوَدِدْنَا أَنْ رَأَيْنَا مَا رَأَيْتَ، وَشَهِدْنَا مَا شَهِدْتَ.

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ «الْمِقْدَادُ» ﷺ، وَقَالَ لَهُ:

ـ مَا يَحْمِلُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَنْ يَتَمَنَّى مَشْهَدًا غَيَّبَهُ اللَّهُ عَنْهُ، لَا يَدْرِي لَوْ شَهِدَهُ كَيْفَ كَانَ يَصِيرُ فِيهِ؟! وَاللَّهِ لَقَدْ عَاصَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْوَامٌ أَكَبَّهُمُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي جَهَنَّمَ! أَوَلَا تَحْمَدُونَ اللَّهَ الَّذِي جَنَّبَكُمْ مِثْلَ بَلَائِهِمْ، وَأَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ مُؤْمِنِينَ بِرَبِّكُمْ وَنَبِيِّكُمْ؟!

وَقَدْ تُوُفِّيَ «الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو» ﷺ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ «عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ» ﷺ سَنَةَ ٣٣هـ، بَعْدَ أَنْ شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ، وَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ سَبْعِينَ سَنَةً، وَبَعْدَ أَنْ شَهِدَ كُلَّ مَعَارِكِ الْجِهَادِ فِي الْإِسْلَامِ أَيَّامَ الرَّسُولِ ﷺ، وَخَلِيفَتِهِ «أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ» ﷺ، وَالْخَلِيفَةِ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» ﷺ.

وَدُفِنَ «الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو» ﷺ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ يُسَمَّى «الْجُرْفَ». وَلَحْظَةَ وَفَاتِهِ تَذَكَّرَ كَلِمَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ:

«إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّكَ، وَأَنْبَأَنِي أَنَّهُ يُحِبُّكَ».

حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ
عَدُوُّ النِّفَاقِ وَصَاحِبُ الْبَصِيرَةِ

«حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ» صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، وُلِدَ فِي مَكَّةَ، وَعَاشَ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، فَكَانَ يُعَدُّ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، كَمَا كَانَ يُعَدُّ مِنَ الْأَنْصَارِ.

وَالِدُهُ «الْيَمَانُ بْنُ حُسَيْلٍ» صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، كَانَ يَعِيشُ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَبْنَائِهِ فِي مَكَّةَ، وَلَكِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا، فَهَرَبَ مَعَ أُسْرَتِهِ إِلَى يَثْرِبَ خَوْفًا مِنَ الثَّأْرِ مِنْهُ.

وَعِنْدَمَا أَعْلَنَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ دَعْوَتَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي مَكَّةَ، جَاءَهُ «الْيَمَانُ ابْنُ حُسَيْلٍ» مَعَ بَعْضِ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ قَبَائِلِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَبَايَعُوهُ، وَدَخَلُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَكُنْ «حُذَيْفَةُ» مَعَهُمْ، وَلَكِنْ عِنْدَ عَوْدَتِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ أَعْلَنَ «حُذَيْفَةُ» إِسْلَامَهُ دُونَ أَنْ يَرَى مُحَمَّدًا ﷺ.

وَبَعْدَ الْهِجْرَةِ الْمُبَارَكَةِ، اقْتَرَبَ «حُذَيْفَةُ» مِنَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، وَحَافَظَ عَلَى أَسْرَارِهِ؛ حَيْثُ أَسَرَّ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَسْمَاءِ كَافَّةِ الْمُنَافِقِينَ الْمُحِيطِينَ بِهِمْ، وَلَمْ يُفْشِ «حُذَيْفَةُ» هَذَا السِّرَّ لِأَيِّ إِنْسَانٍ مَهْمَا كَانَ.

وَفِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» ﷺ، كَانَ يَسْأَلُ «حُذَيْفَةَ» إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَلْ هُوَ مُسْلِمٌ حَقِيقِيٌّ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ، أَمْ أَنَّهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيْهِ؟

وَقَدْ حَدَثَ لِـ«حُذَيْفَةَ» يَوْمَ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ حَادِثَةٌ غَرِيبَةٌ؛ فَقَدْ قُتِلَ أَبُوهُ «الْيَمَانُ بْنُ حُسَيْلٍ» عَنْ طَرِيقِ الْخَطَأِ بِأَيْدٍ مُسْلِمَةٍ، وَرَأَى «حُذَيْفَةُ» بِعَيْنِهِ

السُّيُوفَ وَهِيَ تَطْعَنُ أَبَاهُ، فَصَاحَ فِي جَزَعٍ: هَذَا أَبِي.. إِنَّهُ أَبِي..

وَلَكِنَّ أَمْرَ اللَّهِ كَانَ قَدْ نَفَذَ. وَحِينَ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ، أَصَابَهُمُ الْحُزْنُ وَالْوُجُومُ، وَلَكِنَّ «حُذَيْفَةَ» نَظَرَ إِلَيْهِمْ فِي إِشْفَاقٍ وَقَالَ:

ـ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

ثُمَّ انْطَلَقَ بِسَيْفِهِ يُؤَدِّي وَاجِبَهُ فِي الْمَعْرَكَةِ الدَّائِرَةِ.

وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الْمَعْرَكَةِ، عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا حَدَثَ لِوَالِدِ «حُذَيْفَةَ»، فَأَمَرَ بِدَفْعِ الدِّيَةِ عَنْ وَالِدِ «حُذَيْفَةَ»، وَلَكِنَّ الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ «حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ» ﷺ تَصَدَّقَ بِهَذِهِ الدِّيَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَزَادَ حُبًّا وَتَقْدِيرًا مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ، وَجَعَلَهُ أَكْثَرَ قُرْبًا مِنْهُ.

كَمَا حَدَثَتْ لِـ «حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ» فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ (غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ) حَادِثَةٌ أَكْثَرُ غَرَابَةً، فَقَدْ كَلَّفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى خِيَامِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، الْمُعَسْكِرِينَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ لِلْخَنْدَقِ الَّذِي حَفَرَهُ الْمُسْلِمُونَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ؛ وَذَلِكَ لِيَأْتِيَهُ بِأَخْبَارِ جَيْشِ الْأَعْدَاءِ، فَنَفَّذَ «حُذَيْفَةُ» الْأَمْرَ فَوْرًا، وَدَخَلَ فِي تَجَمُّعِ جَيْشِ قُرَيْشٍ، وَجَلَسَ بَيْنَ أَفْرَادِهِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنَّ قَائِدَ جَيْشِ الْكُفْرِ «أَبَا سُفْيَانَ» أَحَسَّ أَنَّ مِنْ بَيْنِهِمْ أَحَدًا مِنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ:

ـ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ امْرِئٍ مَنْ يَجْلِسُ بِجِوَارِهِ.

وَعَلَى الْفَوْرِ قَالَ «حُذَيْفَةُ» لِمَنْ يَجْلِسُ بِجِوَارِهِ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَجَابَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ، وَقَالَ لِمَنْ بِالْجَانِبِ الْآخَرِ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَجَابَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ.

وَهَكَذَا اسْتَطَاعَ «حُذَيْفَةُ» بِذَكَائِهِ وَبِبَصِيرَتِهِ الْإِيمَانِيَّةِ أَنْ يَنْجُوَ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ الصَّعْبِ، وَيَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُخْبِرَهُ بِأَنَّ جَيْشَ الْمُشْرِكِينَ

يُعَانِي الْكَثِيرَ، وَأَنَّهُ عَلَى وَشْكِ الرَّحِيلِ.

لَقَدْ شَارَكَ «حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ» ﷺ فِي كُلِّ الْمَعَارِكِ الَّتِي قَادَهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ عَدَا مَعْرَكَةَ «بَدْرٍ»؛ حَيْثُ كَانَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، كَمَا شَارَكَ أَيْضًا فِي فَتْحِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ، وَشَارَكَ فِي مَعْرَكَةِ الْيَرْمُوكِ تَحْتَ قِيَادَةِ «خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ» فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» ﷺ، وَفِي مَعْرَكَةِ «نَهَاوَنْدَ» حَيْثُ احْتَشَدَ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا مِنَ الْفُرْسِ، وَالْمُسْلِمُونَ ثَلَاثُونَ أَلْفًا فَقَطْ، فَأَرْسَلَ «عُمَرُ بْنِ الْخَطَّابِ» ﷺ لِلْمُقَاتِلِينَ كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ:

ـ إِذَا اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ، فَلْيَكُنْ كُلُّ أَمِيرٍ عَلَى جَيْشِهِ، وَلْيَكُنْ أَمِيرُ الْجُيُوشِ جَمِيعًا «النُّعْمَانَ بْنَ مُقَرِّنٍ»، فَإِذَا اسْتُشْهِدَ، فَلْيَأْخُذِ الرَّايَةَ «حُذَيْفَةُ»، فَإِذَا اسْتُشْهِدَ...

وَهَكَذَا اسْتَمَرَّ يَخْتَارُ قُوَّادَ الْمَعْرَكَةِ حَتَّى سَمَّى مِنْهُمْ سَبْعَةً، وَالْتَقَى الْجَيْشَانِ، وَصَارَ قِتَالًا قَوِيًّا، وَسَقَطَ الْقَائِدُ «النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ» شَهِيدًا، وَحَمَلَ رَايَةَ الْمُسْلِمِينَ قَائِدُهُمْ «حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ» الَّذِي هَجَمَ عَلَى الْفُرْسِ صَائِحًا: اللَّهُ أَكْبَرُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، نَصَرَ جُنْدَهُ، وَأَخَذَ يَصِيحُ قَائِلًا:

ـ يَا أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ، هَا هِيَ ذِي جِنَانُ اللَّهِ تَتَهَيَّأُ لِاسْتِقْبَالِكُمْ، فَلَا تُطِيلُوا عَلَيْهَا الِانْتِظَارَ.

وَانْتَهَى الْقِتَالُ بِهَزِيمَةٍ سَاحِقَةٍ لِلْفُرْسِ، وَانْتِصَارٍ رَائِعٍ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَعُيِّنَ «حُذَيْفَةُ» ﷺ وَالِيًا عَلَى «الْمَدَائِنِ» بِالْعِرَاقِ، وَعِنْدَمَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِهَا، وَجَدُوهُ رَجُلًا أَضَاءَ اللَّهُ وَجْهَهُ، يَرْكَبُ حِمَارًا، وَهُوَ مُمْسِكٌ بِكِلْتَا يَدَيْهِ رَغِيفًا

وَمِلْحًا، وَتَعَجَّبُوا لِحَالِ الْوَالِي الْجَدِيدِ. فَقَالَ لَهُمْ: إِيَّاكُمْ وَمَوَاقِفَ الْفِتَنِ، وَهِيَ أَبْوَابُ الْأُمَرَاءِ، فَيَمْتَدِحُ أَحَدُكُمُ الْأَمِيرَ أَوِ الْوَالِيَ، لِيَصِلَ إِلَى مَا يُرِيدُ.

لَقَدْ كَانَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ «حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ» ﷺ رَجُلًا لَهُ طَبِيعَةٌ فَرِيدَةٌ، فَلَقَدْ تَأَدَّبَ عَلَى يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ صَادِقًا أَمِينًا، يُحِبُّ الْقُوَّةَ فِي الْحَقِّ، وَيَمْقُتُ الْمُخَادِعِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَكَانَتْ لَهُ بَصِيرَةٌ لِيَعْرِفَهُمْ مِنْ أَوَّلِ لِقَاءٍ بِهِمْ، وَكَانَ وَاسِعَ الذَّكَاءِ، مُتَنَوِّعَ الْخِبْرَاتِ، وَشَدِيدَ التَّقْوَى.

وَتُوُفِّيَ «حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ» ﷺ فِي أَحَدِ أَيَّامِ الْعَامِ الْهِجْرِيِّ السَّادِسِ وَالثَّلَاثِينَ، وَعِنْدَ لَحْظَةِ الْمَوْتِ شَاهَدَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ وَمَعَهُمْ أَكْفَانٌ جَدِيدَةٌ فَارِهَةٌ، فَابْتَسَمَ لَهُمْ وَقَالَ: مَا هَذَا لِي بِكَفَنٍ، إِنَّمَا يَكْفِينِي لُفَافَتَانِ بَيْضَاوَانِ لَيْسَ مَعَهُمَا قَمِيصٌ.

ثُمَّ تَمْتَمَ قَائِلًا: مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ، حَبِيبٌ جَاءَ عَلَى شَوْقٍ، لَا أَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ.

وَصَعِدَتْ إِلَى رَبِّهَا رُوحُهُ الطَّاهِرَةُ، وَعَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةُ رِضًا رَائِعَةٌ.

عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ

يُعَدُّ «عَمَّارُ بْنُ يَاسِـرٍ» مِنَ الْمُسْـلِمِينَ الْأَوَائِلِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بِدَارِ «الْأَرْقَمِ ابْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ»؛ فَقَدْ سَارَ «عَمَّارٌ» إِلَى تِلْكَ الدَّارِ بَعْدَ فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ مِنْ سَمَاعِهِ بِخَبَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَدَعْوَتِهِ الْعَظِيمَةِ، حَيْثُ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ وَحَكَى لِأَبِيهِ «يَاسِرِ بْنِ عَامِرٍ» وَلِأُمِّهِ «سُمَيَّةَ بِنْتِ خَيَّاطٍ»، وَمَا إِنْ سَمِعَا عَنْ إِسْلَامِهِ؛ حَتَّى أَسْلَمَا عَلَى الْفَوْرِ.

وَمَا إِنْ عَرَفَ كُبَرَاءُ قُرَيْشٍ بِدُخُولِ هَذِهِ الْأُسْـرَةِ فِي الْإِسْـلَامِ، حَتَّى قَامُوا بِتَعْذِيبِهِمْ جَمِيعًا عَذَابًا شَـدِيدًا.. وَعِنْدَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمُرُّ بِهِمْ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، كَانَ يَقُولُ لَهُمْ: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ».

وَعِنْدَمَا رَفَضَتْ «سُمَيَّةُ» ﷺ طَلَبَ أَحَدِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ تَذْكُرَ «مُحَمَّدًا» ﷺ بِسُـوءٍ، وَأَنْ تَذْكُرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، قَتَلَ عَدُوُّ اللَّهِ هَذِهِ السَّـيِّدَةَ الْمُؤْمِنَةَ بِرَبِّهَا، فَكَانَتْ أَوَّلَ شَهِيدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ قُتِلَ زَوْجُهَا «يَاسِرٌ» ﷺ.

أَمَّا «عَمَّارٌ» فَقَدْ تَلَقَّى عَذَابًا شَـدِيدًا؛ بِحَرْقِ ظَهْرِهِ بِالنَّارِ، وَوَضْعِ حِجَارَةٍ ثَقِيلَةٍ مُلْتَهِبَةٍ فَوْقَ جَسَـدِهِ الْعَارِي، كَمَا كَانُوا يُغَطِّسُـونَ رَأْسَهُ فِي الْمَاءِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَمُوتَ غَرَقًا، وَمِنْ هَوْلِ هَذَا الْعَذَابِ كَانَ لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ، فَيُرَدِّدُ عَنْ غَيْـرِ وَعْيٍ مَا يُقَالُ لَهُ مِنْ أَنْ يَذْكُرَ «مُحَمَّدًا» بِسُـوءٍ، وَأَنْ يَذْكُرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، وَعِنْدَمَا أَفْرَجَتْ قُرَيْشٌ عَنْهُ، ذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، وَقَالَ لَهُ وَهُوَ يَبْكِي:

ـ لَقَدْ عَذَّبُونِي يَا رَسُولَ اللَّهِ عَذَابًا أَلِيمًا، وَأَجْبَرُونِي عَلَى أَنْ أَقُولَ كَلَامًا نِلْتُ فِيهِ مِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

ـ كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ يَا «عَمَّارُ»؟

أَجَابَ «عَمَّارٌ»:

ـ مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

ـ لَا عَلَيْكَ يَا «عَمَّارُ».. فَإِذَا عَادُوا إِلَى تَعْذِيبِكَ فَقُلْ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ.

وَنَزَلَتْ آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تُؤَكِّدُ عَلَى مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ... ﴾. (سُورَةُ النَّحْلِ: 106).

فَاسْتَرَدَّ «عَمَّارٌ» سَكِينَةَ نَفْسِهِ، وَلَمْ يَعُدْ يُلْقِي بَالًا بِمَا يَفْعَلُ الْمُشْرِكُونَ، وَازْدَادَ إِيمَانًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَعِنْدَمَا هَاجَرَ مَعَ مَنْ هَاجَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَانَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُهَاجِرِينَ وَأَنْصَارٍ وَهُمْ يَبْنُونَ أَوَّلَ مَسْجِدٍ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ الْحِجَارَةَ الثَّقِيلَةَ، أَوْ يَعْجِنُونَ الطِّينَ، أَوْ يُقِيمُونَ الْبِنَاءَ، وَهُمْ يُنْشِدُونَ:

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَا

يَدْأَبُ فِيهَا قَائِمًا وَقَاعِدَا

وَمَنْ يُرَى عَنِ الْغُبَارِ حَائِدَا

كَمَا أَنْشَدُوا: اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ «عَمَّارًا» حُبًّا عَظِيمًا، وَيُبَاهِي الصَّحَابَةَ بِإِيمَانِهِ وَهَدْيِهِ، وَيَقُولُ:

ـ مَنْ عَادَى «عَمَّارًا»، عَادَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ «عَمَّارًا»، أَبْغَضَهُ اللَّهُ.

لَقَدْ شَهِدَ «عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ» ﷺ كَافَّةَ الْمَعَارِكِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: بَدْرًا، وَأُحُدًا، وَالْخَنْدَقَ، وَتَبُوكَ، وَأَبْلَى فِيهَا بَلَاءً حَسَنًا، سَاعَدَتْهُ فِي ذَلِكَ قُوَّةُ إِيمَانِهِ، وَقُوَّةُ بَدَنِهِ. وَذَكَرَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ إِيمَانَ «عَمَّارٍ» فَقَالَ:

ـ اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي «أَبِي بَكْرٍ» وَ«عُمَرَ»، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ «عَمَّارٍ».

وَحَدَثَتْ حَادِثَةٌ غَرِيبَةٌ، فَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ وَبَيْنَمَا «عَمَّارٌ» يَعْمَلُ، إِذَا بِجِدَارٍ يَسْقُطُ عَلَيْهِ، فَظَنَّ بَعْضُ إِخْوَانِهِ أَنَّهُ مَاتَ، فَذَهَبُوا يُخْبِرُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِهَذَا النَّبَأِ الْمُرَوِّعِ، لَكِنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ فِي طُمَأْنِينَةٍ وَثِقَةٍ:

ـ مَا مَاتَ «عَمَّارٌ».. تَقْتُلُ «عَمَّارًا».. الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ.

وَبَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، وَاصَلَ «عَمَّارٌ» جِهَادَهُ، فَفِي حَرْبِ الرِّدَّةِ، وَالْمُسْلِمُونَ يُحَارِبُونَ جَيْشَ «مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ» الَّذِي كَانَ بِأَعْدَادِهِ وَعَتَادِهِ وَبِاسْتِمَاتَةِ مُقَاتِلِيهِ خَطَرًا عَلَى جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ يَفُوقُ التَّصَوُّرَ، وَفِي لَحْظَةٍ تَفَرَّقَ فِيهَا جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ، صَاحَ «عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ» وَقَدْ قُطِعَتْ إِحْدَى أُذُنَيْهِ قَائِلًا:

ـ يَا أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ هَذِهِ هِيَ الْجَنَّةُ تُنَادِيكُمْ، وَتَفْتَحُ أَبْوَابَهَا لَكُمْ.

فَإِذَا بِالْحَمَاسَةِ تَتَدَفَّقُ فِي صُدُورِ الْمُسْلِمِينَ وَيُغِيرُونَ عَلَى جَيْشِ «مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ»، فَيَهْزِمُونَهُمْ شَرَّ هَزِيمَةٍ.

وَشَـهِدَ «عَمَّارٌ» مَعَارِكَ الْمُسْـلِمِينَ مَعَ الْفُرْسِ، وَمَعَارِكَ الْمُسْـلِمِينَ مَعَ الـرُّومِ، وَكَانَ دَائِمًا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ جُنْدِيًّا بَاسِـلًا أَمِينًا، مُؤْمِنًا، وَرِعًا جَلِيلًا يَنْصُرُ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ.

وَفِي خِلَافَـةِ «عُثْمَـانَ بْـنِ عَفَّـانَ» ﷺ انْفَتَحَتْ عَـلَى الْمُسْـلِمِينَ أَبْوَابُ الْفِتْنَةِ الَّتِي انْتَهَتْ بِاسْتِشْـهَادِ «عُثْمَـانَ بْنِ عَفَّانَ» ﷺ، وَتَعَدَّدَتِ اتِّجَاهَاتُ الْمُسْـلِمِينَ؛ فَمِنْهُـمْ مَنِ انْحَازَ إِلَى «عَـلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»، وَأَقَـرَّ بِأَحَقِّيَّتِهِ فِي خِلَافَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْهُمْ مَنِ انْحَازَ إِلَى «مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ» ﷺ.

وَنَاصَرَ «عَمَّارُ بْنُ يَاسِـرٍ» «عَلِيًّا»، وَفَرِحَ «عَلِيٌّ» بِنُصْرَةِ «عَمَّارٍ» لَهُ فَرَحًا كَبِيرًا، وَازْدَادَ إِيمَانُهُ بِأَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ مَا دَامَ هَذَا الرَّجُلُ عَمِيقَ الْإِيمَانِ «عَمَّارٌ» قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَسَارَ مَعَهُ، وَأَيَّدَهُ وَنَصَرَهُ.

وَتَقَابَلَ الْجَيْشَـانِ: جَيْـشٌ بِقِيَادَةِ «عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِـبٍ»، وَجَيْشٌ بِقِيَادَةِ «مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ» فِي مَعْرَكَةِ «صِفِّينَ»، وَصَاحَ «عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ»، وَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةً وَتِسْـعِينَ عَامًا: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ قَاتَلْتُ بِهَذِهِ الرَّايَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَأَنَذَا أُقَاتِلُ بِهَا الْيَوْمَ الْفِئَةَ الْبَاغِيَةَ».

وَخَاضَ «عَمَّارٌ» ﷺ الْمَعْرَكَةَ يَجُول وَيَصُولُ فِيهَا، وَهُوَ مُؤْمِنٌ أَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ شُهَدَائِهَا، مِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ صَوْتُهُ يُجَلْجِلُ فِي أُفُقِ الْمَعْرَكَةِ وَيَقُولُ:

ـ الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَحِبَّةَ: مُحَمَّدًا، وَصَحْبَهُ.

لَقَدْ حَاوَلَ رِجَالُ «مُعَاوِيَةَ» أَنْ يَتَجَنَّبُوا «عَمَّارًا» مَا اسْتَطَاعُوا؛ حَتَّى لَا يُقَالَ عَنْهُمْ إِنَّهُمُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، وَلَكِنْ تَحَقَّقَ لِـ«عَمَّارٍ» مَا كَانَ يَتَمَنَّى وَاسْتُشْهِدَ فِي مَعْرَكَةِ «صِفِّينَ»، وَبَعْدَ الْمَعْرَكَةِ حَمَلَهُ الْإِمَامُ «عَلِيٌّ» فَوْقَ صَدْرِهِ، حَيْثُ صَلَّى

عَلَيْهِ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، ثُمَّ دُفِنَ فِي ثِيَابِهِ ﷺ، وَتَحَقَّقَ قَوْلُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ الَّذِي قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ لِعَمَّارٍ».

أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ
أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ

هُوَ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ دَخَلُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ عَلَى يَدِ «أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ» ﷺ، وَحَتَّى قَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَ الْمُسْلِمُونَ بِرَسُولِهِمُ الْكَرِيمِ ﷺ فِي دَارِ «الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ»، وَهُوَ مِنْ أَحَدِ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ.

لَقَدْ بَايَعَ «أَبُو عُبَيْدَةَ» رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ يُنْفِقَ حَيَاتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَكَانَ لَا يَرَى فِي نَفْسِهِ أَوْ حَيَاتِهِ سِوَى أَمَانَةٍ اسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا لِيَبْذُلَهَا فِي سَبِيلِهِ، وَفِي مَرْضَاتِهِ.

وَقَدْ أَوْفَى هَذَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ بِالْعَهْدِ، وَحَافَظَ عَلَى الْأَمَانَةِ، فَقَالَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ».

وَهَاجَرَ «أَبُو عُبَيْدَةَ» إِلَى الْحَبَشَةِ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَقِفَ إِلَى جِوَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ الْمَعَارِكِ وَالْغَزَوَاتِ، وَفِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ؛ حَيْثُ أَحَسَّ مِنْ سَيْرِ الْمَعْرَكَةِ حِرْصَ الْمُشْرِكِينَ لَا عَلَى إِحْرَازِ النَّصْرِ فَقَطْ، بَلْ حِرْصَهُمْ أَنْ يَغْتَالُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ نَفْسَهُ قَرِيبًا مِنْ مَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَضَى يُحَارِبُ بِسَيْفِهِ، وَعَيْنَاهُ عَلَى الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ، وَكُلَّمَا أَحَسَّ بِالْخَطَرِ يَقْتَرِبُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ تَرَكَ مَكَانَهُ عَلَى الْفَوْرِ، وَاقْتَرَبَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ يُدَافِعُ عَنْهُ.

وَأَحَاطَ بِهِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَخَذَ يُحَارِبُهُمْ كَأَنَّهُ مِائَةُ فَارِسٍ حَتَّى فَرَّقَهُمْ عَنْ نَفْسِهِ، وَذَهَبَ مُسْرِعًا إِلَى الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ، فَوَجَدَ دَمَهُ

الذَّكِيَّ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ الشَّرِيفِ، وَرَأَى الرَّسُولَ ﷺ يَمْسَحُ الدَّمَ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

ـ كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ؟

وَرَأَى «أَبُو عُبَيْدَةَ» حَلْقَتَيْنِ مِنَ الْمِغْفَرِ فِي وَجْنَتَيِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، فَنَزَعَهُمَا بِأَسْنَانِهِ، وَلَكِنَّهُ فَقَدَ سِنَّتَيْنِ مِنْ أَسْنَانِهِ الْأَمَامِيَّةِ.

وَفِي مَوْقِفٍ آخَرَ أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزْوَةِ «الْخَبَطِ» أَمِيرًا عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُقَاتِلِينَ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مِنْ زَادٍ سِوَى جِرَابِ تَمْرٍ، وَالْمُهِمَّةُ صَعْبَةٌ، وَالسَّفَرُ بَعِيدٌ، فَكَانَ نَصِيبُ الرَّجُلِ مِنْهُمْ فِي الْيَوْمِ حَفْنَةً مِنَ التَّمْرِ، وَمَعَ مُرُورِ الْأَيَّامِ أَصْبَحَ نَصِيبُ الرَّجُلِ فِي الْيَوْمِ تَمْرَةً وَاحِدَةً، حَتَّى إِذَا فَرَغَ التَّمْرُ، أَخَذُوا يَجْمَعُونَ وَرَقَ الشَّجَرِ الْجَافَّ (الْخَبَطَ)، فَيَسْحَقُونَهُ وَيَسُفُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ، وَأَنْجَزُوا مُهِمَّتَهُمْ بِنَجَاحٍ رَغْمَ الْجُوعِ وَالْحِرْمَانِ.

لَقَدْ أَحَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمِينَ الْأُمَّةِ «أَبَا عُبَيْدَةَ» حُبًّا كَثِيرًا، وَيَوْمَ جَاءَهُ وَفْدُ «نَجْرَانَ» مِنَ الْيَمَنِ، وَأَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُمْ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ:

ـ لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا، حَقَّ أَمِينٍ.

فَكَانَ هَذَا الْأَمِينُ هُوَ أَمِينَ الْأُمَّةِ «أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ» ﷺ.

وَكَمَا عَاشَ «أَبُو عُبَيْدَةَ» مَعَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ أَمِينًا، عَاشَ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ أَمِينًا، يَحْمِلُ مَسْئُولِيَّةَ نَشْرِ الْإِسْلَامِ بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُ؛ فَلَقَدِ اخْتَارَهُ الْخَلِيفَةُ «أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ» ﷺ أَحَدَ الْقَادَةِ الْأَرْبَعَةِ لِفَتْحِ الشَّامِ، كَمَا اخْتَارَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ قَائِدًا لِلْجَيْشِ فِي أَثْنَاءِ مَعْرَكَةِ الْيَرْمُوكِ،

الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ، وَالَّتِي كَانَ يَقُودُهَا «خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ» ﷺ سَيْفُ اللَّهِ الْمَسْلُولُ، فَلَمْ يُعْلِمْ «أَبُو عُبَيْدَةَ» أَحَدًا عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، حَتَّى انْتَهَى «خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ» ﷺ مِنَ انْتِصَارِهِ الرَّائِعِ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ الْحَاسِمَةِ، ثُمَّ تَقَدَّمَ «أَبُو عُبَيْدَةَ» فِي أَدَبٍ جَمٍّ إِلَى «خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ» الَّذِي قَالَ لَهُ:

- يَرْحَمُكَ اللَّهُ «أَبَا عُبَيْدَةَ».. مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي حِينَ جَاءَكَ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟

فَيَرُدُّ عَلَيْهِ أَمِينُ الْأُمَّةِ:

- إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَلَيْكَ حَرْبَكَ، وَمَا سُلْطَانَ الدُّنْيَا نُرِيدُ، وَلَا لِلدُّنْيَا نَعْمَلُ، كُلُّنَا فِي اللَّهِ إِخْوَةٌ.

وَيُصْبِحُ «أَبُو عُبَيْدَةَ» أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ بِالشَّامِ، وَيَصِيرُ تَحْتَ إِمْرَتِهِ أَكْثَرُ جُيُوشِ الْإِسْلَامِ قُوَّةً وَعَتَادًا وَعَدَدًا، وَمَعَ ذَلِكَ يَبْدُو فَرْدًا عَادِيًّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَطَبَ فِي أَهْلِ الشَّامِ خُطْبَتَهُ الشَّهِيرَةَ، حَيْثُ قَالَ:

ـ يَا أَيُّهَا النَّاسُ.. إِنِّي مُسْلِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَحْمَرَ، وَلَا أَسْوَدَ يَفْضُلُنِي بِتَقْوَى إِلَّا وَدِدْتُ أَنِّي فِي إِهَابِهِ.

وَيَزُورُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ الشَّامَ، وَيَسْأَلُ مُسْتَقْبِلِيهِ:

ـ أَيْنَ أَخِي؟

فَيَقُولُونَ: مَنْ؟

فَيُجِيبُهُمْ: «أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ».

وَيَأْتِي «أَبُو عُبَيْدَةَ»، فَيُعَانِقُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ، ثُمَّ يَصْحَبُهُ إِلَى دَارِهِ، فَلَا يَجِدُ «عُمَرُ» فِيهَا مِنَ الْأَثَاثِ شَيْئًا، لَا يَجِدُ إِلَّا سَيْفَهُ، وَتُرْسَهُ، فَيَسْأَلُهُ «عُمَرُ» وَهُوَ يَبْتَسِمُ: أَلَا اتَّخَذْتَ لِنَفْسِكَ مِثْلَمَا يَصْنَعُ النَّاسُ؟

فَيُجِيبُهُ «أَبُو عُبَيْدَةَ» ﷺ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا يَكْفِينِي.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ أُصِيبَ أَمِينُ الْأُمَّةِ «أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» ﷺ بِالطَّاعُونِ، وَمَاتَ فِي هَذَا الْمَرَضِ، وَكَانَ عُمْرُهُ ٥٨ سَنَةً، وَدُفِنَ فِي قَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ تَحْمِلُ اسْمَهُ بِالْغَوْرِ فِي الْأُرْدُنِّ.

وَعِنْدَمَا عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ بِوَفَاتِهِ، امْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ، وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ، وَاسْتَعَادَ ذِكْرَيَاتِهِ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ:

ـ لَوْ كُنْتُ مُتَمَنِّيًا، مَا تَمَنَّيْتُ إِلَّا بَيْتًا مَمْلُوءًا بِرِجَالٍ مِنْ أَمْثَالِ أَبِي عُبَيْدَةَ.

وَعِنْدَمَا اسْتُشْهِدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ بِطَعْنَةٍ غَادِرَةٍ، قَالَ وَهُوَ يَجُودُ بِأَنْفَاسِهِ الْأَخِيرَةِ:

ـ لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ حَيًّا لَاسْتَخْلَفْتُهُ، فَإِنْ سَأَلَنِي رَبِّي عَنْهُ، قُلْتُ: أَسْتَخْلِفُ أَمِينَ اللَّهِ، وَأَمِينَ رَسُولِهِ ﷺ.

عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ
مِنْ زُعَمَاءِ الْأَنْصَارِ

الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ»، وَالِدُهُ «الصَّامِتُ بْنُ الْقَيْسِ الْخَزْرَجِيُّ»، وَأَخُوهُ «أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ»، وَزَوْجَةُ أَخِيهِ «خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ» الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا قُرْآنًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ (سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ: 1).

عِنْدَمَا جَاءَ وَفْدُ الْأَنْصَارِ الْأَوَّلُ إِلَى مَكَّةَ لِيُبَايِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْأُولَى، كَانَ «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ» ﷺ أَحَدَ الِاثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا الَّذِينَ سَارَعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ. وَحِينَمَا كَانَ مَوْسِمُ الْحَجِّ فِي الْعَامِ التَّالِي، شَهِدَ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةَ وَفْدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مُكَوَّنٌ مِنْ سَبْعِينَ مُؤْمِنًا وَمُؤْمِنَةً، كَانَ «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ» أَيْضًا وَاحِدًا مِنْهُمْ؛ فَهُوَ مِنْ زُعَمَاءِ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

ـ لَوْ أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ.

كَانَتْ عَائِلَةُ «عُبَادَةَ» مُرْتَبِطَةً بِحِلْفٍ قَدِيمٍ مَعَ يَهُودِ «بَنِي قَيْنُقَاعَ» بِالْمَدِينَةِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا تَأَكَّدَ لِـ«عُبَادَةَ» أَنَّهُمْ يُدَبِّرُونَ الْمَكَائِدَ بَعْدَ انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعْرَكَةِ «بَدْرٍ»، فَسَخَ «عُبَادَةُ» حِلْفَهُمْ، وَقَطَعَ عَلَاقَتَهُ بِهِمْ، وَقَالَ:

ـ إِنَّمَا أَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ.

وَأَيَّدَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا الْمَوْقِفَ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (سُورَةُ الْمَائِدَةِ: 56).

وَلَقَدْ أَعْلَنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قِيَامَ «حِزْبِ اللَّهِ»، وَهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَنْهَضُونَ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَامِلِينَ رَايَةَ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، لَا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ. وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ» ﷺ.

وَقَدْ شَارَكَ «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ» فِي كُلِّ الْمَعَارِكِ وَالْغَزَوَاتِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا، فَهَذَا الرَّجُلُ الْأَسْمَرُ الْبَشَرَةِ، فَارِعُ الطُّولِ، قَوِيُّ الْبِنْيَةِ، مَاهِرٌ فِي اسْتِخْدَامِ السَّيْفِ وَرَمْيِ السِّهَامِ، وَاسْتِخْدَامِ الْحَرْبَةِ، وَقَدْ اسْتَخْدَمَ هَذِهِ الْمَهَارَاتِ كُلَّهَا فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ دَوْمًا.

وَكَانَ لِـ «عُبَادَةَ» دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي جَمْعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَمِعَ يَوْمًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ مَسْئُولِيَّةِ الْأُمَرَاءِ وَالْوُلَاةِ، وَأَنَّ مَنْ يُفَرِّطُ مِنْهُمْ فِي حَقٍّ مِنَ الْحُقُوقِ لِلرَّعِيَّةِ، أَوْ تَعْبَثُ ذِمَّتُهُ بِمَالٍ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَمَصِيرُهُ رَهِيبٌ، وَعَذَابُهُ شَدِيدٌ، فَأَقْسَمَ «عُبَادَةُ» ﷺ بِاللَّهِ أَلَّا يَكُونَ أَمِيرًا أَوْ وَالِيًا أَبَدًا، حَتَّى عَلَى اثْنَيْنِ.

وَفِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» ﷺ رَفَضَ «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ» ﷺ قَبُولَ أَيِّ مَنْصَبٍ عُرِضَ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا تَعْلِيمَ النَّاسِ دِينَهُمْ وَأُصُولَ إِسْلَامِهِمْ.

وَعِنْدَمَا أَرَادَ الْخَلِيفَةُ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ إِرْسَالَ مَدَدٍ إِلَى «عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ» ﷺ يُعِينُهُ عَلَى فَتْحِ مِصْرَ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَدَدًا يَقُودُهُ «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ» ﷺ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ رِسَالَةً قَالَ فِيهَا:

ـ إِنِّي أُرْسِلُ لَكَ رَجُلًا يُعَدُّ فِي الرِّجَالِ بِأَلْفِ رَجُلٍ.

وَفِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» ﷺ، سَافَرَ «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ» ﷺ إِلَى فِلَسْطِينَ؛ حَيْثُ عُيِّنَ قَاضِيًا عَلَى أَهْلِهَا، وَكَانَ الْوَالِي عَلَى فِلَسْطِينَ فِي هَذَا الْوَقْتِ «مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ» ﷺ الَّذِي كَانَ يَعْشَقُ السُّلْطَانَ وَقُوَّتَهُ، وَلِذَا اخْتَلَفَ الرَّجُلَانِ «عُبَادَةُ» بِزُهْدِهِ فِي الْإِمَارَةِ، وَ«مُعَاوِيَةُ» بِتَمَسُّكِهِ بِهَا وَحِرْصِهِ عَلَيْهَا.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ سَمِعَ «عُبَادَةُ» خَطِيبًا يَخْطُبُ فِي النَّاسِ، وَيَمْدَحُ «مُعَاوِيَةَ» وَيُثْنِي عَلَيْهِ، فَقَامَ «عُبَادَةُ» وَأَمْسَكَ بِحَفْنَةٍ مِنَ التُّرَابِ فَحَشَاهَا فِي فَمِ الْخَطِيبِ، فَغَضِبَ «مُعَاوِيَةُ»، وَسَأَلَهُ:

ـ لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟

قال «عُبَادَةُ» ﷺ:

ـ نَحْنُ نَقُومُ بِالْحَقِّ حَيْثُ كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي أَفْوَاهِهِمُ التُّرَابَ».

وَعِنْدَمَا كَانَ «عُبَادَةُ» يَمْشِي بِالسُّوقِ، مَرَّتْ قَافِلَةٌ تَحْمِلُ قِرَبًا مِنَ الْجِلْدِ مَمْلُوءَةً، فَقَالَ «عُبَادَةُ» ﷺ لِصَاحِبِ الْقَافِلَةِ:

ـ أَزَيْتٌ فِي هَذِهِ الْقَافِلَةِ؟

فَقَالَ صَاحِبُ الْقَافِلَةِ:

ـ بَلْ هِيَ خَمْرٌ اشْتَرَاهَا فُلَانٌ!

فَأَمْسَكَ «عُبَادَةُ» ﷺ سِكِّينًا وَأَخَذَ يَقْطَعُ قِرَبَ الْخَمْرِ، حَتَّى سَالَتْ كُلُّهَا عَلَى الرِّمَالِ!!

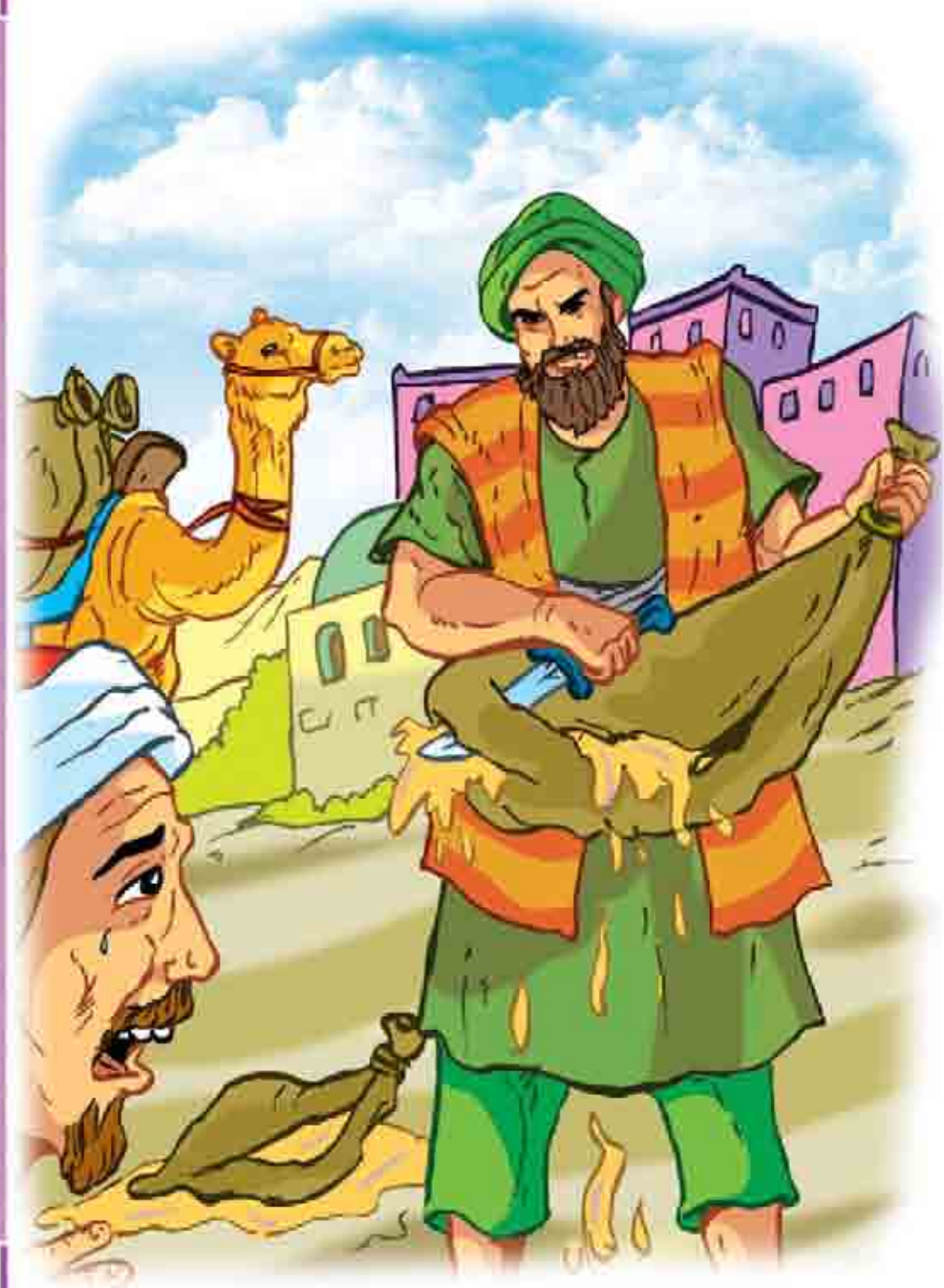

فَكَتَبَ «مُعَاوِيَةُ» رِسَالَةً إِلَى «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» يَقُولُ لَهُ فِي غَضَبٍ:

ـ إِنَّ «عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ» قَدْ أَفْسَدَ عَلَيَّ الشَّامَ، وَأَرَى أَنْ يَرْحَلَ «عُبَادَةُ» إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَحَمَلَ «عُبَادَةُ» الرِّسَالَةَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مَا بِهَا، وَذَهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَعْطَى هَذِهِ الرِّسَالَةَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» ﷺ، الَّذِي سَأَلَهُ بَعْدَ أَنْ قَرَأَ الرِّسَالَةَ:

ـ مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ يَا «عُبَادَةُ»؟

فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ «مُعَاوِيَةَ»، قَالَ لَهُ «عُمَرُ» ﷺ:

ـ ارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ، فَقَبَّحَ اللَّهُ أَرْضًا لَيْسَ فِيهَا مِثْلُكَ.

ثُمَّ أَرْسَلَ «عُمَرُ» إِلَى «مُعَاوِيَةَ» كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ:

ـ لَا إِمْرَةَ لَكَ عَلَى «عُبَادَةَ».

أَجَلْ إِنَّ «عُبَادَةَ» أَمِيرُ نَفْسِهِ، وَحِينَ يُكَرِّمُ «عُمَرُ الْفَارُوقُ» رَجُلًا مِثْلَ هَذَا التَّكْرِيمِ، فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَكُونُ قَوِيَّ الْإِيمَانِ، شَدِيدَ الِاسْتِقَامَةِ.

لَقَدْ كَانَ «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ» ﷺ جَلِيلًا وَعَظِيمًا فِي إِيمَانِهِ، وَفِي اسْتِقَامَةِ ضَمِيرِهِ وَحَيَاتِهِ.

وَفِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ «عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ» ﷺ، تُوُفِّيَ بِالرَّمْلَةِ فِي أَرْضِ فِلَسْطِينَ «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ» ﷺ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَعُمْرُهُ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ سَنَةً.

زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ
حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ «زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ» هُوَ الصَّحَابِيُّ الْوَحِيدُ الَّذِي ذُكِرَ اسْمُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَبُوهُ الصَّحَابِيُّ «حَارِثَةُ بْنُ شَرَاحِيلَ»، وَأُمُّهُ «سُعْدَى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ».

وَقَعَ «زَيْدٌ» فِي الْأَسْرِ وَعُمْرُهُ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ؛ عِنْدَمَا أَخَذَتْهُ أُمُّهُ لِتَزُورَ أَهْلَهَا فِي «بَنِي مَعْنٍ»، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ إِحْدَى الْقَبَائِلِ الْمُجَاوِرَةِ لِـ«بَنِي مَعْنٍ» وَأَنْزَلَتْ بِأَهْلِهَا الْهَزِيمَةَ، وَحَمَلَتْ مَعَ مَنْ حَمَلَتْ مِنَ الْأَسْرَى الصَّبِيَّ «زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ»، وَرَجَعَتْ أُمُّهُ بَاكِيَةً إِلَى زَوْجِهَا بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ وَلَدَهَا.

وَتَمَّ بَيْعُ «زَيْدٍ» فِي سُوقِ عُكَاظَ بِمَكَّةَ، حَيْثُ اشْتَرَاهُ «حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ» وَوَهَبَهُ لِعَمَّتِهِ «خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ» ﵂، وَالَّتِي صَارَتْ زَوْجَةً لِـ«مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ» الَّذِي لَمْ يَكُنِ الْوَحْيُ قَدْ جَاءَهُ بَعْدُ.

وَوَهَبَتْ «خَدِيجَةُ» خَادِمَهَا «زَيْدًا» لِزَوْجِهَا «مُحَمَّدٍ»، فَتَقَبَّلَهُ مَسْرُورًا، وَأَعْتَقَهُ مِنْ فَوْرِهِ، وَرَاحَ يَمْنَحُهُ كُلَّ الْعَطْفِ وَالرِّعَايَةِ وَالْحُبِّ. وَتَعَلَّقَ «زَيْدٌ» بِـ«مُحَمَّدٍ» تَعَلُّقَ الِابْنِ بِأَبِيهِ الْحَبِيبِ.

وَفِي أَحَدِ مَوَاسِمِ الْحَجِّ الْتَقَى نَفَرٌ مِنْ حَيِّ «حَارِثَةَ» بِـ«زَيْدٍ» فِي مَكَّةَ، وَنَقَلُوا إِلَيْهِ لَوْعَةَ وَالِدَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَحَمَّلَهُمْ «زَيْدٌ» سَلَامَهُ وَشَوْقَهُ لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَقَالَ لَهُمْ:

ـ أَخْبِرُوا أَبِي أَنِّي هُنَا مَعَ أَكْرَمِ وَالِدٍ.

وَلَـمْ يَكَدْ «حَارِثَةُ» يَعْرِفُ مَكَانَ ابْنِهِ، حَتَّى ذَهَبَ هُوَ وَأَخُوهُ إِلَى «مُحَمَّدٍ» ﷺ، وَطَلَبُوا مِنْهُ رَدَّ «زَيْدٍ» إِلَى أَهْلِهِ وَهُمَا عَلَى اسْـتِعْدَادٍ لِدَفْعِ الْفِدْيَةِ، وَنَادَى «مُحَمَّدٌ» ﷺ «زَيْدًا»، وَقَالَ لَهُ:

ـ هَلْ تَعْرِفُهُمَا؟

فَأَجَابَ «زَيْدٌ»:

ـ نَعَمْ.. هَذَا أَبِي وَهَذَا عَمِّي..

فَخَيَّرَ «مُحَمَّدٌ» ﷺ زَيْدًا بِأَنْ يَذْهَبَ مَعَ أَبِيهِ وَعَمِّهِ دُونَ أَيَّةِ فِدْيَةٍ، أَوْ يَبْقَى مَعَهُ.. قَالَ «زَيْدٌ»:

ـ مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا، أَنْتَ الْأَبُ، وَأَنْتَ الْعَمُّ..

وَسَـقَطَتْ دُمُوعٌ شَاكِرَةٌ وَحَانِيَةٌ مِنْ عَيْنَيْ «مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ»، وَأَمْسَكَ بِيَدِ «زَيْدٍ» وَخَرَجَ إِلَى فِنَاءِ الْكَعْبَةِ، حَيْثُ قُرَيْشٌ مُجْتَمِعَةٌ، وَنَادَى قَائِلًا:

ـ اشْهَدُوا أَنَّ «زَيْدًا» ابْنِي يَرِثُنِي وَأَرِثُهُ.

وَهَكَذَا تَبَنَّى الرَّسُولُ ﷺ «زَيْدًا»، وَرَجَعَ الْأَبُ وَالْعَمُّ إِلَى قَوْمِهِمَا مُطْمَئِنَّيْنِ عَلَى وَلَدِهِمَا الَّذِي أَصْبَحَ حُرًّا، بَلْ وَابْنًا لِلرَّجُلِ الَّذِي تُسَمِّيهِ قُرَيْشٌ «الصَّادِقَ الْأَمِينَ»، وَأَصْبَحَ اسْمُهُ «زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ».

وَكَبِرَ «زَيْدٌ» وَأَصْبَحَ رَجُلًا لَهُ سِـمَاتُهُ: قَصِيرُ الْقَامَةِ، وَلَهُ بَشَـرَةٌ سَمْرَاءُ، وَأَنْـفٌ أَفْطَسُ، وَأَهَمُّ سِـمَةٍ تَمَيَّـزَ بِهَا هِيَ حُبٌّ لَا يُوصَفُ مِـنْ أَبِيهِ بِالتَّبَنِّي «مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ» ﷺ.

وَمَا إِنْ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى كَانَ «زَيْدٌ» ثَانِيَ مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ السَّيِّدَةِ «خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ» ﷺ زَوْجَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَخَذَ يُسَانِدُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ لِدِينِ الْإِسْلَامِ.

وَزَوَّجَـهُ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَةَ عَمَّتِهِ «زَيْنَبَ» ﷺ ، وَلَكِـنَّ الْحَيَاةَ الزَّوْجِيَّةَ أَخَذَتْ تَتَعَثَّـرُ، فَانْفَصَلَ «زَيْدٌ» عَنْ «زَيْنَبَ». فَاخْتَارَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ زَوْجَةً جَدِيدَةً هِيَ «أُمُّ كُلْثُومَ بِنْتُ عُقْبَةَ»، وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «زَيْنَبَ» امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿ ...فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ... ﴾ (سُورَةُ الْأَحْزَابِ: 37)، وَنَزَلَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ... ﴾ (سُـورَةُ الْأَحْزَابِ: 5) فَعَادَ اسْمُهُ «زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ».

وَعِنْدَمَا تُوُفِّيَتِ السَّيِّدَةُ «خَدِيجَةُ» ﷺ ، وَكَذَلِكَ تُوُفِّيَ فِي السَّنَةِ ذَاتِهَا عَمُّهُ «أَبُو طَالِبٍ»، حَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُزْنًا شَدِيدًا، وَسُمِّيَ هَذَا الْعَامُ عَامَ الْحُزْنِ.

وَذَهَـبَ ﷺ إِلَى الطَّائِـفِ وَمَعَهُ «زَيْـدٌ» يَدْعُو أَهْلَهَا إِلَى الْإِسْـلَامِ، إِلَّا أَنَّهُمْ رَفَضُوا هَذِهِ الدَّعْوَةَ، وَجَعَلُوا صِغَارَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ يُلْقُونَ الْحِجَارَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَدْمَـوْا قَدَمَيْـهِ الشَّـرِيفَتَيْنِ، وَكَانَ «زَيْدٌ» ﷺ يَقِيهِ بِنَفْسِـهِ مِنْ هَذِهِ الْحِجَارَةِ حَتَّى جُرِحَ فِي رَأْسِهِ.

وَبَعْدَ الْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، بَدَأَتْ تَتَكَوَّنُ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَمَا بَعَثَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ جَيْشًا أَوْ سَرِيَّةً حَتَّى جَعَلَ «زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ» أَمِيرًا عَلَى هَذَا الْجَيْشِ، أَوْ تِلْكَ السَّرِيَّةِ. حَتَّى جَاءَتْ «غَزْوَةُ مُؤْتَةَ» فِي الْعَامِ الثَّامِنِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَتْ بَيْنَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي تَكَوَّنَ مِنْ عِدَّةِ آلَافٍ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ، وَجَيْشِ الرُّومِ الَّذِي قُدِّرَ بِحَوَالَيْ مِائَتَيْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ بِقِيَادَةِ «هِرَقْلَ»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُدْرِكُ أَهَمِّيَّةَ هَذِهِ الْغَزْوَةِ وَخَطَرَهَا، فَاخْتَارَ لَهَا ثَلَاثَةً مِنْ فُرْسَانِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ وَفْقَ تَرْتِيبِهِمْ فِي إِمَارَةِ الْجَيْشِ هُمْ: «زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ»، فَإِذَا اسْتُشْهِدَ يَلِيهِ «جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»، فَإِذَا اسْتُشْهِدَ يَلِيهِ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ»، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَخْتَارُ الْمُسْلِمُونَ مَنْ يَقُودُهُمْ.

وَبَدَأَتِ الْمَعْرَكَةُ، وَأَقْدَمَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْقِتَالِ بِجَسَارَةٍ وَبَسَالَةٍ غَيْرِ مَعْهُودَةٍ، وَأَمَامَهُمْ قَائِدُهُمْ «زَيْدٌ» حَامِلُ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُقْتَحِمًا فِي فِدَائِيَّةٍ رِمَاحَ الْعَدُوِّ وَنِبَالَهُ وَسُيُوفَهُ. وَرَغْمَ الْفَارِقِ الْكَبِيرِ بَيْنَ عَدَدِ الْجَيْشَيْنِ، إِلَّا أَنَّ حِرْصَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الِاسْتِشْهَادِ، كَانَ أَقْوَى بِكَثِيرٍ مِنْ حِرْصِ الرُّومِ عَلَى الْحَيَاةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدِ الْتَفَّ الرُّومُ حَوْلَ الْقَائِدِ الْإِسْلَامِيِّ «زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ» ﷺ وَأَخَذُوا يَطْعَنُونَهُ بِسُيُوفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ حَتَّى اسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعْدَ أَنْ سَلَّمَ رَايَةَ الْإِسْلَامِ إِلَى «جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» ﷺ.

وَدُفِنَ الشَّهِيدُ بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ فِي مُؤْتَةَ بِالْأُرْدُنِّ، وَعُمْرُهُ حِينَئِذٍ ٤٣ سَنَةً، وَعِنْدَمَا عَلِمَتْ بِنْتُ «زَيْدٍ» أَنَّ وَالِدَهَا اسْتُشْهِدَ فِي مَعْرَكَةِ مُؤْتَةَ، أَجْهَشَتْ بِالْبُكَاءِ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بَكَى حَتَّى انْتَحَبَ. فَقِيلَ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: شَوْقُ الْحَبِيبِ إِلَى الْحَبِيبِ. ثُمَّ قَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِـ«زَيْدٍ» (ثَلَاثًا)، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِـ«جَعْفَرٍ»، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِـ«عَبْدِ اللَّهِ».

جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
أَبُو الْمَسَاكِينِ
وَأَشْبَهُ النَّاسِ بِالرَّسُولِ ﷺ خَلْقًا وَخُلُقًا

هُـوَ ابْنُ عَمِّ الرَّسُـولِ ﷺ، وَالْأَخُ الْأَكْبَرُ لِـ «عَلِيِّ بْـنِ أَبِي طَالِبٍ» ﷺ، وَمِنْ أَوَائِلِ مَنْ آمَنُوا بِالْإِسْلَامِ، وَبِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا، وَيَوْمَ أَنْ أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ، أَسْلَمَتْ مَعَهُ فِي الْيَوْمِ نَفْسِهِ زَوْجَتُهُ «أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ» ﷺ.

اتَّسَـمَ «جَعْفَرٌ» ﷺ بِفَضَائِلِ الْمُؤْمِـنِ الْحَقِّ: الطُّهْـرِ وَالْعِفَّةِ، وَالصِّدْقِ وَالْأَمَانَـةِ، عِلَاوَةً عَلَى تَحَلِّيهِ بِذَكَاءٍ وَفِطْنَةِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ، وَإِشْـرَاقِ الْعَقْلِ، وَفَصَاحَةِ اللِّسَانِ وَلَبَاقَةِ الْحَدِيثِ.

وَقَدْ عَانَى «جَعْفَرٌ» ﷺ وَزَوْجَتُهُ أَذَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ بِسَبَبِ إِسْلَامِهِمَا، وَقَدْ كَانَـتْ تَوَجُّهَاتُ النَّبِيِّ ﷺ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَـةِ؛ حَيْثُ إِنَّ مَلِكَهَا «النَّجَاشِيَّ» رَجُلٌ صَالِحٌ، وَقَالَ لَهُمْ:

- إِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ.

وَبِالْفِعْلِ خَرَجَ «جَعْفَرٌ» ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِتِلْكَ الْهِجْـرَةِ، أَرْسَـلَتْ وَرَاءَهُمْ كُلًّا مِنْ «عَمْرِو بْنَ الْعَـاصِ»، وَ «عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ» (وَكَانَا لَمْ يُسْلِمَا بَعْدُ)، وَأَرْسَلَتْ مَعَهُمَا هَدَايَا عَظِيمَةً إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ، وَإِلَى قَسَاوِسَـةِ وَرُهْبَانِ الْكَنِيسَـةِ هُنَـاكَ؛ أَمَلًا فِي طَرْدِ «جَعْفَـرٍ» وَأَصْحَابِهِ، لِيَرْجِعُوا إِلَى مَكَّةَ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَلِيُجْبَرُوا عَلَى الِارْتِدَادِ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ.

كَانَ النَّجَاشِيُّ رَجُلًا يَحْمِلُ إِيمَانًا مُسْتَنِيرًا، وَيَعْتَنِقُ نَصْرَانِيَّةً صَافِيَةً وَاعِيَةً، وَيَمْتَلِكُ رَجَاحَةَ عَقْلٍ عَالِيَةً، وَعِنْدَمَا تَقَدَّمَ مِنْهُ «عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ» وَمَعَهُ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ»، قَالَ لَهُ «عَمْرٌو»:

ـ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَظِيمُ، لَقَدْ جَاءَ إِلَى بِلَادِكَ غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، بَلْ جَاءُوا بِدِينٍ ابْتَدَعُوهُ، لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَلَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ أَشْرَافُ الْقَوْمِ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ.

نَظَرَ «النَّجَاشِيُّ» إِلَى «جَعْفَرٍ» وَأَصْحَابِهِ، وَقَالَ لَهُمْ:

ـ مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَاسْتَغْنَيْتُمْ بِهِ عَنْ دِينِنَا؟

تَقَدَّمَ «جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» ﷺ مِنَ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَهُ:

ـ أَيُّهَا الْمَلِكُ.. لَقَدْ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ! حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا الْحِجَارَةَ وَالْأَوْثَانَ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، فَصَدَّقْنَاهُ، وَآمَنَّا بِهِ، وَعَمِلْنَا بِمَا جَاءَ بِهِ، فَظَلَمَنَا قَوْمُنَا وَعَذَّبُونَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَلَمَّا ضَيَّقُوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بِلَادِكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَلَّا نُظْلَمَ عِنْدَكَ.

قَالَ «النَّجَاشِيُّ»:

ـ هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ؟

فَأَخَذَ «جَعْفَرٌ» ﷺ يَقْرَأُ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ «مَرْيَمَ»، فَبَكَى «النَّجَاشِيُّ» وَقَالَ:

ـ إِنَّ هَـذَا والَّذِي جَاءَ بِهِ «عِيسَـى» لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْـكَاةٍ وَاحِدَةٍ (يَقْصِدُ أَنَّ مَصْدَرَ الْقُرْآنِ وَالْإِنْجِيلِ وَاحِدٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى).

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي، قَالَ «عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ» لِـ «النَّجَاشِيِّ»:

ـ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ فِي «عِيسَى» قَوْلًا عَظِيمًا.

قَالَ «النَّجَاشِيُّ» لِـ «جَعْفَرٍ»:

ـ مَاذَا تَقُولُونَ عَنْ «عِيسَى»؟

قَالَ «جَعْفَرٌ» ﷺ:

ـ نَقُولُ فِيهِ كَمَا قَالَ رَبُّنَا: «هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى «مَرْيَمَ» وَرُوحٌ مِنْهُ».

فَابْتَسَمَ «النَّجَاشِيُّ» وَقَالَ:

ـ إِنَّ هَذَا مَا قَالَه «عِيسَى» عَنْ نَفْسِهِ.

ثُمَّ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ:

ـ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَرْضِي، وَمَنْ سَبَّكُمْ أَوْ آذَاكُمْ فَعَلَيْهِ مَا يَفْعَلُ.

ثُمَّ رَدَّ إِلَى «عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ» وَصَاحِبِهِ هَدَايَاهُمْ، فَرَجَعَا إِلَى مَكَّةَ مَخْذُولَيْنِ.

وَمَكَثَ «جَعْفَرٌ» فِي الْحَبَشَةِ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ رُزِقَ خِلَالَهَا بِثَلَاثَةِ أَوْلَادٍ: «مُحَمَّدٍ، وَعَبْـدِ اللَّهِ، وَعَوْفٍ»، وَعَادَ «جَعْفَرٌ» وَأُسْـرَتُهُ إِلَى الْمَدِينَـةِ الْمُنَوَّرَةِ بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ مُبَاشَرَةً، فَفَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَحًا كَبِيرًا، وَعَانَقَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

ـ مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَشَدُّ فَرَحًا، أَبِقُدُومِ «جَعْفَرٍ» أَمْ بِفَتْحِ خَيْبَرَ؟

وَبَنَى لَهُ الرَّسُولُ ﷺ دَارًا بِجِوَارِ الْمَسْجِدِ لِيُقِيمَ فِيهَا هُوَ وَأُسْرَتُهُ، وَآخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ «مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ» الْأَنْصَارِيِّ ﷺ.

كَانَتْ هَذِهِ الْعَوْدَةُ فِي السَّـنَةِ السَّادِسَـةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَلَمْ يَشْهَدْ «جَعْفَرٌ»

مَعَـارِكَ: بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وَالْخَنْدَقِ، وَاشْـتَاقَ لِأَنْ يُجَاهِدَ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ، فَمَا إِنْ جَاءَتِ السَّـنَةُ الثَّامِنَةُ مِنَ الْهِجْرَةِ، حَتَّى أَرْسَـلَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ جَيْشًا إِلَى الشَّامِ لِقِتَالِ الرُّومِ، وَجَعَلَ «زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ» أَمِيرًا عَلَى الْجَيْشِ، وَقَالَ ﷺ:

ـ وَلَّيْـتُ عَلَيْكُمْ «زَيْدَ بْـنَ حَارِثَةَ»، فَإِنْ أُصِيبَ «زَيْـدٌ»، فَـ«جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»، فَإِنْ أُصِيبَ «جَعْفَرٌ» فَـ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ».

وَذَهَبَ الْجَيْشُ الَّذِي لَمْ يَتَعَدَّ ثَلَاثَةَ آلَافِ مُقَاتِلٍ، لِيُقَابِلَ جَيْشَ الرُّومِ الَّذِي يَتَأَلَّفُ مِنْ مِائَتَيْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ «مُؤْتَةَ»، وَرَأَى «جَعْفَرٌ» فِي هَذِهِ الْغَـزْوَةِ فُرْصَةَ الْعُمْرِ، فَإِمَّا أَنْ يُحَقِّقَ فِيهَا نَصْـرًا كَبِيرًا لِدِينِ اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْ يَظْفَرَ بِاسْتِشْهَادٍ عَظِيمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَفِي أَثْنَاءِ الْمَعْرَكَةِ أُصِيبَ «زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ»، وَقَبْلَ أَنْ تَسْقُطَ الرَّايَةُ مِنْ يَدِهِ، تَلَقَّاهَا «جَعْفَرٌ» بِيَمِينِهِ، وَمَضَى يُقَاتِلُ بِهَا فِي إِقْدَامٍ مُنْقَطِعِ النَّظِيرِ، وَتَكَاثَرَ عَلَيْـهِ وَحَوْلَهُ الْأَعْدَاءُ، وَرَأَى أَنَّ فَرَسَـهُ تَعُوقُ حَرَكَتَهُ فَارْتَجَـلَ عَنْهَا، وَرَاحَ يُقَاتِلُ بِسَـيْفِهِ قِتَالَ الْأَبْطَالِ، وَكَأَنَّهُ جَيْشٌ بِكَامِلِهِ، وَحَرَصَ الرُّومُ عَلَى قَتْلِهِ، فَضَرَبُـوا بِالسُّـيُوفِ يَمِينَهُ، وَلَكِنَّهُ أَمْسَـكَ الرَّايَـةَ بِشِـمَالِهِ، فَضَرَبُوهَا هِيَ الْأُخْرَى، فَاحْتَضَنَ الرَّايَةَ بِعَضُدَيْهِ، ثُمَّ قَطَعُوا قَدَمَيْهِ، حَتَّى اسْتُشْـهِدَ ﷺ، وَالْتَقَطَ الرَّايَةَ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ» لِيُكْمِلَ الْمَعْرَكَةَ.

عَلِمَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ بِخَبَرِ اسْتِشْهَادِهِ، فَتَأَثَّرَ تَأَثُّرًا بَلِيغًا، وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِ ابْنِ عَمِّهِ، وَطَلَبَ أَبْنَاءَ «جَعْفَرٍ» وَقَبَّلَهُمْ وَدَعَا لِأَبِيهِمْ، وَقَالَ:

ـ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَدَّلَهُ بَدَلًا مِنْ ذِرَاعَيْهِ وَقَدَمَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ.

لِذَا سُـمِّيَ «جَعْفَرًا الطَّيَّارَ»، وَدُفِنَ الشَّـهِيدُ فِي مَـكَانِ الْمَعْرَكَةِ. وَلَهُ الْآنَ مَقَامٌ فِي جَنُوبِ عَاصِمَةِ الْأُرْدُنِّ.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ
شَاعِرُ الرَّسُولِ ﷺ

صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، كَانَ يَكْتُبُ الشِّعْرَ وَيُرَدِّدُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَمَيَّزَ شِعْرُهُ بِالْعُذُوبَةِ وَالْقُوَّةِ، قَابَلَ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ ﷺ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْأُولَى عِنْدَمَا جَاءَ ضِمْنَ وَفْدٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَضُمُّ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، حَيْثُ حَمَلُوا الْإِسْلَامَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَجَاءَ أَيْضًا فِي الْعَامِ التَّالِي ضِمْنَ وَفْدٍ يَضُمُّ ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ حَيْثُ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، حَيْثُ مَهَّدَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ الثَّانِيَةُ لِلْهِجْرَةِ، الَّتِي كَانَتْ بِدَوْرِهَا مُنْطَلَقًا رَائِعًا لِلْإِسْلَامِ.

وَبَعْدَ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاسْتِقْرَارِهِمْ بِهَا كَانَ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ» ﷺ مِنْ أَكْثَرِ الْأَنْصَارِ عَمَلًا لِنُصْرَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَوَضَعَ مَوْهِبَتَهُ الشِّعْرِيَّةَ فِي خِدْمَةِ هَذَا الدِّينِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ شِعْرَهُ، وَمِنْ هَذَا الشِّعْرِ:

يَا هَاشِمَ الْخَيْرِ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ ... عَلَى الْبَرِيَّةِ فَضْلًا مَا لَهُ غِيَرُ

إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ أَعْرِفُهُ ... فِرَاسَةً خَالَفَتْهُمْ فِي الَّذِي نَظَرُوا

وَحِينَمَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ، كَانَ «ابْنُ رَوَاحَةَ» يُنْشِدُ:

يَا رَبِّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الَّذِيـنَ قَـدْ بَغَـوْا عَـلَيْـنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْـنَـةً أَبَيْـنَا

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُرَدِّدُونَ مَعَهُ هَذَا الشِّعْرَ الْجَمِيلَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَسْرُورٌ بِذَلِكَ.

وَقَدْ شَهِدَ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ» كُلَّ الْمَعَارِكِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ: «بَدْرًا»، وَ«أُحُدًا»، وَ«الْخَنْدَقَ»، وَأَبْلَى فِي الْقِتَالِ بَلَاءً حَسَنًا.

وَيُذْكَرُ فِي مَعْرَكَةِ «بَدْرٍ» عِنْدَمَا صَاحَ «عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ» أَنْ يَخْرُجَ مِنْ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ يُبَارِزُونَهُمْ، فَخَرَجَ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ» مَعَ اثْنَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَكِنْ أَبَى «عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ» أَنْ تَتِمَّ الْمُبَارَزَةُ مَعَ رِجَالٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَطَلَبَ مُنَازَلَةَ ثَلَاثَةٍ مِنْ مُسْلِمِي قُرَيْشٍ، فخرج «حَمْزَةُ»، وَ«عَلِيٌّ»، وَ«عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ»، وَكَانَ النَّصْرُ الْمُؤَزَّرُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ «عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ» ﷺ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْمَعْرَكَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ لِيُبَشِّرَ الْمُسْلِمِينَ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ.

وَعِنْدَمَا شَاهَدَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» «عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ» وَهُوَ يُنْشِدُ الشِّعْرَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ بِالْكَعْبَةِ فِي عُمْرَةِ «الْقَضَاءِ»، قَالَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»:

ـ يَا «ابْنَ رَوَاحَةَ» أَفِي حَرَمِ اللَّهِ وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

ـ خَلِّ عَنْهُ يَا «عُمَرُ»، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَلَامُهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقْعِ النِّبَالِ.

وَكَانَ لِـ«عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ» أَثَرٌ وَاضِحٌ فِي الْآخَرِينَ، وَتَقْوِيَةِ إِيمَانِهِمْ، وَيُذْكَرُ لَهُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ الْأَثَرُ الْوَاضِحُ فِي إِسْلَامِ «أَبِي الدَّرْدَاءِ»، حَيْثُ كَانَ أَخًا لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِي الْإِسْلَامِ.

وَفِي الْعَامِ الثَّامِنِ لِلْهِجْرَةِ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ قَتَلَ الصَّحَابِيَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَانَ يُدْعَى «الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرٍ الْأَزْدِيَّ»، فَأَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِتَجْهِيزِ جَيْشٍ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ لِمُحَارَبَةِ الرُّومِ، وَجَعَلَ الرَّايَةَ أَوَّلًا لِـ «زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ»، فَإِذَا أُصِيبَ فَتَكُونُ الرَّايَةُ لِـ «جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»، فَإِذَا أُصِيبَ فَتَكُونُ الرَّايَةُ لِـ «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ».

وَتَحَرَّكَ الْجَيْشُ إِلَى «مُؤْتَةَ»، وَحِينَ شَاهَدَ الْمُسْلِمُونَ عَدُوَّهُمْ، وَجَدُوا أَنَّ عَدَدَهُمْ يَقْتَرِبُ مِنْ مِائَتَيْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، بَيْنَمَا عَدَدُهُمْ لَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ:

ـ فَلْنَبْعَثْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُخْبِرْهُ بِعَدَدِ عَدُوِّنَا، فَإِمَّا أَنْ يُمِدَّنَا بِالرِّجَالِ،

وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِالزَّحْفِ فَنُطِيعَ.

إِلَّا أَنَّ «ابْنَ رَوَاحَةَ» نَهَضَ وَسَطَ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، وَصَاحَ فِي إِيمَانٍ:

ـ يَا قَوْمُ.. إِنَّا وَاللَّهِ، مَا نُقَاتِلُ أَعْدَاءَنَا بِعَدَدٍ، وَلَا قُوَّةٍ، وَلَا كَثْرَةٍ.. مَا نُقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ، فَانْطَلِقُوا، فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ: النَّصْرُ أَوِ الشَّهَادَةُ.

وَهَتَفَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى قِلَّةِ عَدَدِهِمْ وَقُوَّةِ إِيمَانِهِمْ:

ـ قَدْ وَاللَّهِ صَدَقَ «ابْنُ رَوَاحَةَ».

وَالْتَقَى الْجَيْشَانِ، وَبَلَغَ الْقِتَالُ ضَرَاوَتَهُ، وَكَادَتِ الْقِلَّةُ الْمُسْلِمَةُ تَتُوهُ فِي زِحَامِ جَيْشِ الرُّومِ الَّذِي حَشَدَهُ قَائِدُهُمْ «هِرَقْلُ»، وَسَقَطَ الْأَمِيرُ الْأَوَّلُ لِلْجَيْشِ «زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ» شَهِيدًا مَجِيدًا، وَتَلَاهُ الْأَمِيرُ الثَّانِي «جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» الَّذِي أَدْرَكَ الشَّهَادَةَ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ، وَحَمَلَ الرَّايَةَ ثَالِثُ الْأُمَرَاءِ «عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ رَوَاحَةَ» الَّذِي كَانَ يُقَاتِلُ كَجُنْدِيٍّ يَصُولُ وَيَجُولُ فِي غَيْرِ تَرَدُّدٍ وَلَا مُبَالَاةٍ، أَمَّا الْآنَ، وَقَدْ صَارَ أَمِيرًا لِلْجَيْشِ وَمَسْئُولًا عَنْ حَيَاتِهِ، فَصَاحَ قَائِلًا:

أَقْسَمْتُ يا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ ... مَا لِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ؟

وَانْطَلَقَ يَعْصِفُ بِالرُّومِ عَصْفًا، لَكِنَّ سَاعَةَ الرَّحِيلِ دَقَّتْ مُعْلِنَةً بَدْءَ مَسِيرَتِهِ إِلَى اللَّهِ، فَصَعِدَ شَهِيدًا ﷺ.

وَفِي تِلْكَ اللَّحَظَاتِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْمَدِينَةِ، فَإِذَا بِهِ يَصْمُتُ قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ:

ـ اسْتُشْهِدَ كُلٌّ مِنْ «زَيْدٍ»، و«جَعْفَرٍ» وَ«ابْنِ رَوَاحَةَ».. وَلَقَدْ رُفِعُوا إِلَى الْجَنَّةِ.

الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ
جَارُ الرَّسُولِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ

يُعَدُّ هَذَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ مِنَ السَّبْعَةِ الْأَوَائِلِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَأُمُّهُ «صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، وَأَبُوهُ «الْعَوَّامُ ابْنُ خُوَيْلِدٍ»، شَقِيقُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ «خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ» ﷺ، وَتَزَوَّجَ فِيمَا بَعْدُ مِنْ «أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ» (ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ) أُخْتِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ «عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ» ﷺ، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ.

وَمَا إِنْ عَلِمَ «الزُّبَيْرُ» بِدَعْوَةِ «مُحَمَّدٍ» ﷺ لِدِينِ الْإِسْلَامِ حَتَّى أَسْرَعَ وَأَعْلَنَ أَمَامَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ إِسْلَامَهُ، وَعُمْرُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ حَيْثُ أَتَى يَوْمًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (وَلَمْ يَكُنْ يَزِيدُ عُمْرُهُ عَلَى سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً) وَهُوَ شَاهِرٌ لِسَيْفِهِ، وَقَدِ انْفَعَلَ بِشِدَّةٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا لَكَ؟

رَدَّ «الزُّبَيْرُ» قَائِلًا: أُخْبِرْتُ أَنَّكَ قُتِلْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: فَمَاذَا كُنْتَ صَانِعًا؟

أَجَابَ «الزُّبَيْرُ» ﷺ: كُنْتُ سَأَضْرِبُ بِهَذَا السَّيْفِ كُلَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، حَتَّى أُهْلِكَهُمْ جَمِيعًا، أَوْ أَهْلِكَ.

فَابْتَسَمَ الرَّسُولُ ﷺ وَدَعَا لَهُ وَلِسَيْفِهِ.

ذَاقَ «الزُّبَيْرُ» ﷺ أَذًى كَبِيرًا مِنْ قُرَيْشٍ بِسَبَبِ إِسْلَامِهِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَ أَعْمَامِهِ كَانَ يُعَذِّبُهُ بِشِدَّةٍ، فَيُجِيبُ «الزُّبَيْرُ» ﷺ فِي تَحَدٍّ رَهِيبٍ:

ـ لَا .. وَاللَّهِ لَا أَعُودُ إِلَى الْكُفْرِ أَبَدًا.

وَهَاجَرَ «الزُّبَيْرُ» ﷺ إِلَى الْحَبَشَةِ الْهِجْرَتَيْنِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةَ، وَهُوَ ابْنُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُطِلِ الْإِقَامَةَ بِهَا، فَعَادَ إِلَى مَكَّةَ يُسَانِدُ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَحِينَ كَانَ ﷺ يُؤَاخِي بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي مَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، آخَى بَيْنَ «طَلْحَةَ» وَ«الزُّبَيْرِ»، وَكَانَ يُرَدِّدُ كَثِيرًا: «طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ جَارَايَ فِي الْجَنَّةِ».

شَهِدَ «الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ» ﷺ كُلَّ الْمَعَارِكِ وَالْغَزَوَاتِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَفِي غَزْوَةِ «بَدْرٍ» كَانَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ فَارِسَانِ: «الزُّبَيْرُ» عَلَى فَرَسٍ عَلَى الْمَيْمَنَةِ، وَ«الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو» عَلَى فَرَسٍ عَلَى الْمَيْسَرَةِ، وَأَبْلَى «الزُّبَيْرُ» ﷺ بَلَاءً حَسَنًا فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ، رَغْمَ أَنَّهُ طُعِنَ فِيهَا مَرَّتَيْنِ.

وَفِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، صَاحَ أَحَدُ كِبَارِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَهُوَ «طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ» قَائِلًا: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ وَكَانَ شَدِيدَ الْبَأْسِ قَوِيَّ الْبِنْيَةِ، وَهُوَ عَلَى جَمَلِهِ. وَلَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَسَادَ صَمْتٌ شَدِيدٌ.

فَوَثَبَ «الزُّبَيْرُ» ﷺ عَلَى جَمَلِهِ حَتَّى صَارَ مَعَهُ عَلَى الْجَمَلِ، ثُمَّ أَسْقَطَهُ أَرْضًا وَذَبَحَهُ مِنْ رَقَبَتِهِ، وَكَبَّرَ فَكَبَّرَ مَعَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ.

وَبَعْدَ أَنِ انْقَلَبَ جَيْشُ قُرَيْشٍ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ، بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ كُلًّا مِنْ «أَبِي بَكْرٍ» وَ«الزُّبَيْرِ» خَلْفَ الْمُشْرِكِينَ وَمَعَهُمَا سَبْعُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَقَّبُونَ جَيْشًا مُنْتَصِرًا، إِلَّا أَنَّ الْخِبْرَةَ الْحَرْبِيَّةَ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا «الصِّدِّيقُ» وَ«الزُّبَيْرُ» ﷺ جَعَلَتْ قُرَيْشًا تَظُنُّ أَنَّ جَيْشَ «مُحَمَّدٍ» يُرِيدُ الْفَتْكَ بِهِمْ، فَأَسْرَعُوا خُطَاهُمْ إِلَى مَكَّةَ.

وَفِي غَزْوَةِ «الْخَنْدَقِ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

- مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ؟

أَجَابَ «الزُّبَيْرُ» عَلَى الْفَوْرِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ.

وَذَهَبَ عَلَى الْفَوْرِ، وَأَدَّى مُهِمَّتَهُ بِنَجَاحٍ مُنْقَطِعِ النَّظِيرِ.

وَفِي يَوْمِ «خَيْبَرَ» تَبَارَزَ مَعَ يَهُودِيٍّ يُدْعَى «يَاسِرًا»، وَكَانَ مَعْرُوفًا بِقُدْرَتِهِ وَمَهَارَتِهِ عَلَى الْمُبَارَزَةِ وَالْقِتَالِ، وَلَكِنَّ «الزُّبَيْرَ» ﷺ تَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَصَرَعَهُ.

قَالَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ: «لَقَدْ صَحِبْتُ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَرَأَيْتُ جَسَدَهُ، وَعَلَامَاتُ طَعْنِهِ بِالسُّيُوفِ وَرَمْيِهِ بِالسِّهَامِ عَدِيدَةٌ وَكَثِيرَةٌ، فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ لَقَدْ شَهِدْتُ بِجِسْمِكَ مَا لَمْ أَرَهُ بِأَحَدٍ قَطُّ. فَقَالَ لِي: «وَاللَّهِ كُلُّهَا كَانَتْ فِي مَعَارِكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَاشْتُهِرَ «الزُّبَيْرُ» بِجَانِبِ شَجَاعَتِهِ فِي الْقِتَالِ، بِالسَّخَاءِ وَالْعَطَاءِ؛ فَلَقَدْ كَانَ يُدِيرُ تِجَارَةً نَاجِحَةً، وَكَانَ ثَرَاؤُهُ عَرِيضًا، وَلَكِنَّهُ أَنْفَقَ كُلَّ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى إِنَّهُ عِنْدَمَا مَاتَ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَوَصَّى ابْنَهُ «عَبْدَ اللَّهِ» بِأَنْ يُسَدِّدَهُ.

وَعِنْدَمَا تَرَاجَعَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ فِي «حُنَيْنٍ»، اقْتَحَمَ «الزُّبَيْرُ» ﷺ بِمُفْرَدِهِ جَيْشَ الْمُشْرِكِينَ، فَشَتَّتَ شَمْلَهُمْ وَأَزَاحَهُمْ عَنِ الْكَمِينِ الَّذِي كَانُوا يَتَرَبَّصُونَ فِيهِ بِبَعْضِ زُعَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ النَّصْرُ فِي النِّهَايَةِ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَأَهَمُّ مَا كَانَ يُمَيِّزُ «الزُّبَيْرَ» ﷺ كَمُقَاتِلٍ يَتَمَثَّلُ فِي اعْتِمَادِهِ التَّامِّ عَلَى نَفْسِهِ، وَفِي ثِقَتِهِ الْكَامِلَةِ بِاللَّهِ ثُمَّ بِهَا. وَقَدْ ظَهَرَ هَذَا يَوْمَ «الْيَرْمُوكِ»، وَجَيْشُ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ «خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ» يُوَاجِهُ جَيْشَ الرُّومِ الْأَكْثَرَ عَدَدًا وَعُدَّةً، فَقَدْ كَانَ «الزُّبَيْرُ» ﷺ جَيْشًا وَحْدَهُ، فَحِينَ رَأَى كَثِيرًا مِنَ الْمُقَاتِلِينَ مِنْ جَيْشِ

الْمُسْلِمِينَ يَتَقَهْقَرُونَ أَمَامَ جَحَافِلِ جَيْشِ الرُّومِ، صَاحَ بِصَوْتٍ كَالرَّعْدِ: اللَّهُ أَكْبَرُ.. وَاخْتَرَقَ جَحَافِلَ جَيْشِ الرُّومِ ضَارِبًا بِسَيْفِهِ يَمِينًا وَيَسَارًا، فَتَفَرَّقَ جُنْدُ الرُّومِ، وَعَادَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ لِعَزْمِهِمُ الْأَوَّلِ فِي قِتَالِ الرُّومِ، فَكَانَ النَّصْرُ لَهُمْ، وَلَمْ يَهْتَمَّ «الزُّبَيْرُ» ﷺ بِإِصَابَتِهِ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ.

وَعِنْدَمَا طُعِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ اسْتَخْلَفَ سِتَّةً مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ «الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ». وَبَعْدَ اسْتِشْهَادِ «عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ» ﷺ خَرَجَ «الزُّبَيْرُ» وَ«طَلْحَةُ» إِلَى الْبَصْرَةِ لِلْأَخْذِ بِثَأْرِ «عُثْمَانَ»، وَكَانَتْ مَوْقِعَةُ الْجَمَلِ عَامَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ «الزُّبَيْرُ» وَ«طَلْحَةُ» فِي فَرِيقٍ، وَ«عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» فِي فَرِيقٍ، فَوَقَفَ «عَلِيٌّ» وَقَالَ لِـ«الزُّبَيْرِ»: أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا «زُبَيْرُ»، أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّكَ تُقَاتِلُنِي وَأَنْتَ لِي ظَالِمٌ»، فَأَجَابَ «الزُّبَيْرُ»: نَعَمْ.. وَلَكِنَّنِي نَسِيتُ هَذَا. فَانْصَرَفَ «الزُّبَيْرُ» ﷺ، وَقَالَ لَهُ ابْنُهُ «عَبْدُ اللَّهِ»: انْصَرَفْتَ جُبْنًا يَا أَبِي.

أَجَابَ «الزُّبَيْرُ» ﷺ: قَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنِّي لَسْتُ بِجَبَانٍ، وَلَكِنْ ذَكَّرَنِي «عَلِيٌّ» شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَحَلَفْتُ أَنْ لَا أُقَاتِلَهُ.

وَعِنْدَمَا كَانَ «الزُّبَيْرُ» ﷺ بِوَادِي السِّبَاعِ نَزَلَ يُصَلِّي، فَأَتَاهُ «عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ» مِنْ خَلْفِهِ فَقَتَلَهُ، وَقَطَعَ رَأْسَهُ وَأَرْسَلَهَا إِلَى «عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»، وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ يُرْضِيهِ، وَإِذَا بِـ«عَلِيٍّ» ﷺ يَبْكِي وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَيَقُولُ: «تَبَوَّأْ يَا أَعْرَابِيُّ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ؛ فَقَدْ حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ قَاتِلَ الزُّبَيْرِ فِي النَّارِ». وَدُفِنَ «الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ» فِي أَحَدِ أَطْرَافِ الْبَصْرَةِ فِي مَوْضِعٍ يُسَمَّى الْيَوْمَ بِاسْمِهِ.

خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ
فِدَائِيٌّ مِنَ الْأَوَائِلِ

مِـنْ أَوَائِـلِ مَنْ دَخَلُوا فِي دِينِ الْإِسْـلَامِ هَذَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيـلُ «خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ»، فَعِنْدَمَا سَمِعَ أَنَّ «مُحَمَّدًا» الْأَمِينَ ﷺ يَتَحَدَّثُ عَنْ وَحْيٍ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فِي غَارِ حِرَاء، وَعَنْ رِسَالَةٍ تَلَقَّاهَا مِنَ اللَّهِ لِيُبَلِّغَهَا إِلَى عِبَادِهِ، بِأَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَيَتْرُكُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ. عِنْدَمَا سَمِعَ «خَالِدٌ» ذَلِكَ طَارَتْ نَفْسُهُ فَرَحًا وَسَعَادَةً.

وَكَانَ عِنْدَمَـا يَجِدُ بَعْضَ الْقَـوْمِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ هَذَا الدِّينِ الْجَدِيدِ، يَجْلِسُ مَعَهُمْ وَيُصْغِي فِي صَمْتٍ شَدِيدٍ، وَنَفْسُهُ مِنْ دَاخِلِهِ فِي شَوْقٍ بَالِغٍ إِلَى «مُحَمَّدٍ» ﷺ وَإِلَى هَذَا الدِّينِ الرَّائِعِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْلِنَ مَا يَجِيشُ فِي صَدْرِهِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ تَمَامَ الْعِلْمِ أَنَّ أَبَاهُ «سَـعِيدَ بْنَ الْعَـاصِ»، لَوْ عَلِمَ بِمَاذَا يُفَكِّرُ فِيهِ وَلَدُهُ «خَالِدٌ» لَقَتَلَهُ عَلَى الْفَوْرِ!

وَاسْـتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى هَذَا الْوَضْعِ، حَتَّى كَانَـتْ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي رَأَى «خَالِدُ ابْنُ سَعِيدٍ» فِي مَنَامِهِ رُؤْيَا عَجِيبَةً، فَقَدْ رَأَى نَفْسَهُ وَاقِفًا عَلَى حَافَةِ مِنْ حُفْرَةٍ هَائِلَةٍ بِهَا نَارٌ شَـدِيدَةُ الِاشْتِعَالِ، وَأَبُوهُ مِنْ وَرَائِهِ يَدْفَعُهُ نَحْوَ الْحُفْرَةِ بِكِلْتَا يَدَيْهِ بِقُوَّةٍ، يُرِيدُ أَنْ يُوقِعَهُ فِي هَذِهِ الْحُفْرَةِ وَفِي تِلْكَ النَّارِ الشَّـدِيدَةِ، ثُمَّ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا عَلَيْهِ، وَأَخَذَ يَجْذِبُهُ بِيَمِينِهِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهُ بَعِيدًا عَنْ هَذِهِ الْحُفْرَةِ، وَنَارِهَا الرَّهِيبَةِ.

وَيَصْحُو الشَّـابُّ مِنْ نَوْمِهِ، وَهُوَ غَايَةٌ فِي الِانْفِعَـالِ، مُتَذَكِّرًا تَفَاصِيلَ هَذِهِ الرُّؤْيَا الْعَجِيبَةِ الْوَاضِحَةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَفْسِـيرٍ، وَذَهَبَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى دَارِ «أَبِـي بَكْـرٍ الصِّدِّيـقِ» ﷺ، وَقَصَّ عَلَيْـهِ رُؤْيَاهُ، فَقَالَ لَـهُ «أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ» ﷺ:

ـ إِنَّهُ الْخَيْرُ أُرِيدَ لَكَ، وَهَذَا رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ، فَاتَّبِعْهُ، فَإِنَّ الْإِسْـلَامَ حَاجِزُكَ مِنَ النَّارِ.

وَذَهَبَ الشَّـابُّ «خَالِدُ بْنُ سَـعِيدٍ» عَلَى الْفَوْرِ يَبْحَثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَمَا وَجَدَهُ، أَعْلَنَ إِسْـلَامَهُ، وَشَهِدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ سَـبَقَهُ إِلَى دِينِ الْإِسْـلَامِ سِوَى أَرْبَعَةٍ أَوْ خَمْسَـةٍ، فَهُوَ إِذَنْ مِنَ الْخَمْسَةِ الْأَوَائِلِ الْمُبَكِّرِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ.

وَأَعْلَنَ «خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ» إِسْلَامَهُ، وَعِنْدَمَا عَلِمَ أَبُوهُ «سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ» أَنَّ وَلَدَهُ قَدْ أَسْـلَمَ وَاتَّبَعَ دِينَ «مُحَمَّدٍ» ﷺ، جُنَّ جُنُونُهُ، وَعَنَّفَهُ بِشِدَّةٍ، وَضَرَبَهُ ضَرْبًـا مُبَرِّحًا، وَعَذَّبَهُ عَذَابًا شَـدِيدًا؛ فَكَانَ يَدُسُّـهُ بَيْنَ حِجَـارَةِ الصَّحْرَاءِ الْمُلْتَهِبَـةِ بِحَرَارَةِ شَـمْسِ مَكَّـةَ، بِالسَّـاعَاتِ الطَّوِيلَةِ!! وَمَنَعَ عَنْـهُ الطَّعَامَ وَالْمَاءَ، وَحَبَسَـهُ فِي الـدَّارِ دَاخِلَ حُجْرَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَ«خَالِـدٌ» يَصْرُخُ مِنْ وَرَاءِ الْبَـابِ الْمُغْلَقِ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَأَنَا بِهِ مُؤْمِنٌ، وَإِنِّي لَنْ أَدَعَ الْإِسْلَامَ، وَسَأَحْيَا بِهِ، وَأَمُوتُ عَلَيْهِ».

وَاسْتَمَرَّ تَعْذِيبُ هَذَا الشَّابِّ الْمُؤْمِنِ أَيَّامًا طَوِيلَةً، وَلَمْ يَتَزَحْزَحْ عَنْ مَوْقِفِهِ مُطْلَقًـا، وَعِنْدَمَا يَئِسَ الْأَبُ مِنْهُ طَرَدَهُ مِـنْ بَيْتِهِ، بِلَا مَأْوًى، وَلَا طَعَامٍ، وَبِلَا

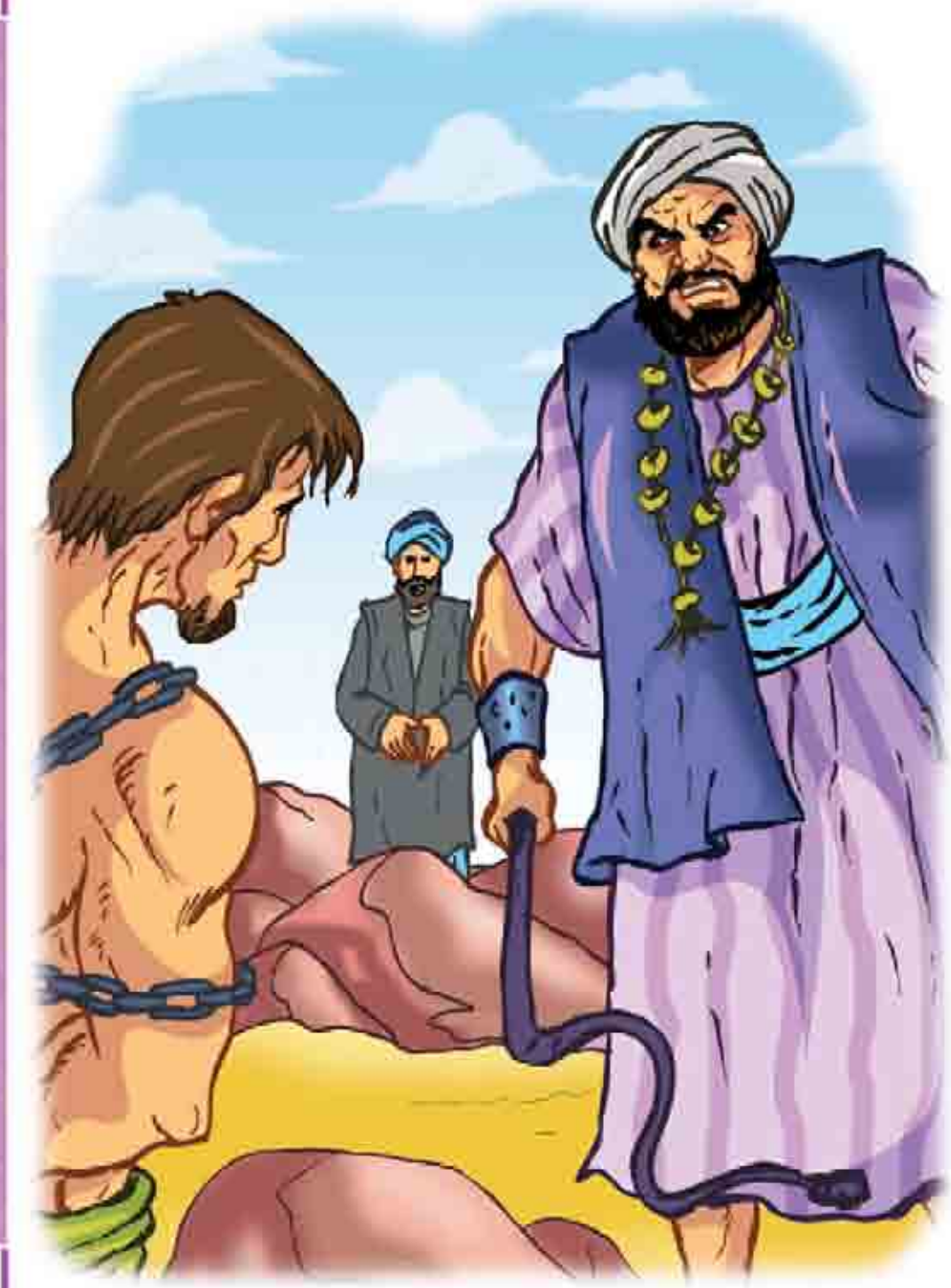

مَالٍ، وَرَاحَ هَـذَا الصَّحَابِيُّ الْمُؤْمِنُ يَقْهَرُ الْعَـذَابَ بِالتَّضْحِيَةِ، وَيَتَفَوَّقُ عَلَى الْحِرْمَانِ بِالْإِيمَانِ.

وَفِي آخِـرِ الْأَمْرِ هَاجَرَ «خَالِـدٌ» ﷺ مَعَ بَعْضٍ مِنَ الصَّحَابَـةِ الَّذِينَ فَرُّوا بِإِسْـلَامِهِمْ إِلَى الْحَبَشَـةِ فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ، حَيْثُ وَجَـدَ فِيهَا أَرْضَ الصِّدْقِ، وَالْأَمَانِ، وَالْحِمَايَةِ.

وَمَكَثَ «خَالِدُ بْنُ سَـعِيدٍ» ﷺ فِي الْحَبَشَةِ سَـنَوَاتٍ طَوِيلَةً، وَأَخِيرًا عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَكُونَ فِي صُحْبَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ، بَعْدَ أَنْ فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ حُصُونَ يَهُودِ «خَيْبَرَ».

وَسُرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِعَوْدَةِ «خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ» ﷺ، وَقُبَيْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ عَيَّنَ «خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ» وَالِيًا عَلَى الْيَمَنِ.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ عَلِمَ «خَالِدٌ» ﷺ بِوَفَاةِ الرَّسُـولِ ﷺ، وَاسْـتِخْلَافِ «أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ» ﷺ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَغَادَرَ الْيَمَنَ، وَعَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

فِي بَادِئِ الْأَمْرِ لَمْ يُبَايِعْ «خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ» «أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ» بِالْخِلَافَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّ الْأَحَقَّ بِخِلَافَةِ الْمُسْـلِمِينَ وَاحِدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، مِثْلَ: «الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، أَوْ «عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

وَرَغْـمَ هَذَا الْمَوْقِفِ ظَلَّ «أَبُو بَكْرٍ» ﷺ عَلَى حُبِّـهِ وَتَقْدِيرِهِ لِـ «خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ» ﷺ، وَبَعْدَ فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ غَيَّرَ «خَالِدٌ» رَأْيَهُ، وَبَايَعَ «أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ» ﷺ وَهُوَ عَلَى مِنْبَرٍ فِي الْمَسْجِدِ بَيْعَةً صَادِقَةً.

وَأَمَرَ «أَبُو بَكْرٍ» بِتَجْهِيزِ الْمُسْلِمِينَ لِمُلَاقَاةِ جَيْشِ الرُّومِ فِي الشَّامِ، وَجَعَلَ

«خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ» أَحَدَ أُمَرَاءِ هَذَا الْجَيْشِ، وَلَكِنَّ «عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ» ﷺ عَارَضَ فِي هَذِهِ الْإِمَارَةِ.

وَبِالْفِعْلِ عَزَلَ «أَبُو بَكْرٍ» ﷺ «خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ» ﷺ مِنْ إِمَارَةِ الْجَيْشِ، وَعَلِمَ «خَالِدٌ» بِذَلِكَ فَقَالَ:

ـ وَاللَّهِ.. مَا سَرَّتْنَا وِلَايَتُكُمْ، وَلَا سَاءَنَا عَزْلُكُمْ.

وَيُحَاوِلُ «أَبُو بَكْرٍ» ﷺ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْ «خَالِدٍ» الْأَمْرَ وَيَعْتَذِرَ لَهُ، وَيُخَيِّرَهُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ جُنْدِيًّا تَحْتَ إِمْرَةِ «عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ» ـ وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ ـ أَوْ مَعَ «شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ».

فَيُجِيبُ «خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ» قَائِلًا:

ـ ابْنُ عَمِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَرَابَتِهِ، وَ «شُرَحْبِيلُ» أَحَبُّ إِلَيَّ فِي دِينِهِ.

وَيَخْتَارُ «خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ» ﷺ أَنْ يَكُونَ جُنْدِيًّا فِي كَتِيبَةِ «شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ» ﷺ. وَيُوصِي «أَبُو بَكْرٍ» ﷺ «شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ» بِـ «خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ» ﷺ، وَيَأْمُرُهُ بِاسْتِشَارَتِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ؛ فَقَدِ اخْتَارَهُ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ «عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ» وَارْتَضَاهُ أَمِيرًا عَلَيْهِ.

وَرَحَلَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الشَّامِ لِيُلَاقِيَ جَيْشَ الرُّومِ، وَفِي مَوْقِعَةِ «مَرْجِ الصُّفْرِ» بِأَرْضِ الشَّامِ دَارَتْ مَعَارِكُ ضَارِيَةٌ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ، وَكَانَ فِي مُقَدِّمَةِ الشُّهَدَاءِ «خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ» ﷺ الَّذِي وَهَبَ حَيَاتَهُ مُنْذُ شَبَابِهِ الْبَاكِرِ حَتَّى لَحْظَةِ اسْتِشْهَادِهِ فِي مَسِيرَةٍ صَادِقَةٍ مُؤْمِنَةٍ شُجَاعَةٍ.

أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ
الَّذِي اسْتَضَافَ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَارِهِ

الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ «أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ» هُوَ: «خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ» حَفِيدُ «مَالِكِ ابْنِ النَّجَّارِ» الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ.

كَانَ قَدْ قَدِمَ مَعَ وَفْدٍ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِمُبَايَعَةِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى مَشَارِفِ مَكَّةَ.

وَاشْتَاقَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُمْ «أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ» لِهِجْرَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَعِنْدَمَا تَمَّتِ الْهِجْرَةُ بِالْفِعْلِ، وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَبِجِوَارِهِ صَاحِبُهُ «أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ» ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ. اسْتَقْبَلَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَهُمْ يُنْشِدُونَ عَلَى دَقَّاتِ الدُّفِّ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاع
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاع
أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا ... جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمُطَاع
جِئْتَ شَرَّفْتَ الْمَدِينَة ... جِئْتَ يَا خَيْرَ دَاع

وَسَارَ الرَّسُولُ ﷺ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ وَسَطَ الْجُمُوعِ الْحَاشِدَةِ مِنْ أَنْصَارِ الْمَدِينَةِ، الْمُمْتَلِئَةِ حَمَاسَةً وَمَحَبَّةً وَشَوْقًا، وَحَاوَلَ كُلُّ صَاحِبِ دَارٍ تَمُرُّ عَلَيْهِ

نَاقَةُ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يُمْسِكَ بِزِمَامِ النَّاقَةِ لِتَبْرُكَ أَمَامَ دَارِهِ، وَيَسْتَضِيفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي دَارِهِ، ويَقُولُ:

ـ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقِمْ عِنْدَنَا.

فَيُجِيبُهُمُ الرَّسُولُ ﷺ:

ـ خَلُّوا سَبِيلَهَا (أَيِ النَّاقَةَ)؛ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ.

وَسَارَتِ النَّاقَةُ فِي دُرُوبِ الْمَدِينَةِ، وَكُلُّ النَّاسِ يَسِيرُونَ مِنْ حَوْلِهَا، وَالْكُلُّ يَتَمَنَّى أَنْ يَحْظَى بِاسْتِضَافَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَأَمَامَ دَارِ بَنِي «مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ»، بَرَكَتِ النَّاقَةُ، وَتَهَلَّلَ وَجْهُ «أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ» حَفِيدِ «مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ»، وَأَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَدَعَاهُ لِلدُّخُولِ فِي دَارِهِ.

فَكَانَتْ إِقَامَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدَّوْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الدَّارِ، بَيْنَمَا عَائِلَةُ «أَبِي أَيُّوبَ» كَانَتْ فِي الدَّوْرِ الثَّانِي، وَلَمْ يَتَصَوَّرِ الرَّجُلُ نَفْسَهُ قَائِمًا أَوْ نَائِمًا، فِي مَكَانٍ أَعْلَى مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَقُومُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَنَامُ، فَرَاحَ يُلِحُّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى الدَّوْرِ الْأَعْلَى، فَاسْتَجَابَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجَائِهِ.

وَتَمَّ بِنَاءُ أَوَّلِ مَسْجِدٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِلَى جِوَارِهِ تَمَّ بِنَاءُ دَارٍ بَسِيطَةٍ لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، لِيَشِعَّ نُورُ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَلَقَدْ آخَى الرَّسُولُ ﷺ بَيْنَ «أَبِي أَيُّوبَ» وَبَيْنَ «مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ» ﷺ.

وَلَقَدْ قَدَّمَ «أَبُو أَيُّوبَ» نَفْسَهُ وَحَيَاتَهُ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِجِوَارِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ فَاشْتَرَكَ فِي كُلِّ الْمَعَارِكِ وَالْغَزَوَاتِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ؛ فَفِي مَعَارِكِ:

بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وَالْخَنْدَقِ، وَغَيْرِهَا قَدَّمَ هَذَا الْبَطَلُ نَفْسَهُ وَمَالَهُ جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ.

وَحَتَّى بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، لَمْ يَتَخَلَّفْ «أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ» عَنْ مَعْرَكَةٍ مِنَ الْمَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَكَانَ شِعَارُهُ الَّذِي يُرَدِّدُهُ دَائِمًا، فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَفِي جَهْرِهِ وَإِسْرَارِهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ...﴾ (سُورَةُ التَّوْبَةِ: 41).

وَلَمْ يَتَخَلَّفْ «أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ» عَنْ مَعَارِكِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، حَيْثُ كَانَ أَمِيرُ الْجَيْشِ وَاحِدًا مِنْ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ، لَمْ يَقْتَنِعْ «أَبُو أَيُّوبَ» بِإِمَارَتِهِ، وَلَكِنَّهُ نَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ عَدَمِ مُشَارَكَتِهِ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ؛ فَقَدْ كَانَ كُلُّ هَدَفِهِ أَنْ يَعِيشَ جُنْدِيًّا فِي جَيْشِ الْإِسْلَامِ، يُقَاتِلُ تَحْتَ رَايَتِهِ، وَيُدَافِعُ عَنْ حُرْمَتِهِ.

وَعِنْدَمَا وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ «عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» ﷺ، وَ«مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ» ﷺ انْحَازَ «أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ» ﷺ مَعَ «عَلِيٍّ» يُؤَيِّدُهُ وَيُنَاصِرُهُ.

فَلَمَّا اسْتُشْهِدَ «عَلِيٌّ» ﷺ وَانْتَهَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى «مُعَاوِيَةَ» ﷺ، ظَلَّ رَأْيُ «أَبِي أَيُّوبَ» ﷺ كَمَا هو، وَلَمْ يُحَاوِلْ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى «مُعَاوِيَةَ»، بَلْ رَضِيَ أَنْ يَبْقَى جُنْدِيًّا مُسْلِمًا بَيْنَ صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ.

وَعِنْدَمَا تَحَرَّكَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ نَاحِيَةَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، كَانَ «أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ» رَاكِبًا فَرَسَهُ، حَامِلًا سَيْفَهُ، وَهُوَ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ شَهِيدًا فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الْفَاصِلَةِ مَعَ الرُّومِ، وَدَخَلَ الْبَطَلُ الْمَعْرَكَةَ وَهُوَ يَصِيحُ:

اللَّهُ أَكْبَرُ.. «انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا..».

وَأُصِيبَ «أَبُو أَيُّوبَ» ﷺ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ قَائِدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ - وَهُوَ «يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ» - فَسَأَلَهُ:

- مَا حَاجَتُكَ «أَبَا أَيُّوبَ»؟

قَالَ لَهُ «أَبُو أَيُّوبَ»:

- إِذَا قُدِّرَ لِي أَنْ أَمُوتَ، فَاحْمِلُوا جُثْمَانِي فَوْقَ فَرَسِي، وَاقْطَعُوا أَطْوَلَ مَسَافَةٍ مُمْكِنَةٍ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ، اذْهَبُوا بِي بَعِيدًا .. بَعِيدًا فِي أَرْضِ الرُّومِ، ثُمَّ هُنَاكَ ادْفِنُونِي.

وَلَقَدْ أَنْجَزَ «يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ» وَصِيَّةَ «أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ» ﷺ، وَفِي مَدِينَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ (إِسْطَنْبُولَ عَاصِمَةِ تُرْكِيَا الْآنَ)، تَمَّ دَفْنُ الْمُجَاهِدِ الْكَبِيرِ «أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ»؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُؤْمِنُ أَنَّ الْإِسْلَامَ سَوْفَ يَدْخُلُ تِلْكَ الْبِلَادَ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَسْمَعُ وَقْعَ حَوَافِرِ خَيْلِ الْمُسْلِمِينَ فَوْقَ قَبْرِهِ، فَيُدْرِكُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَدْرَكُوا نَصْرًا كَبِيرًا وَفَوْزًا عَظِيمًا.

وَأَصْبَحَ قَبْرُ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ «أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ» ﷺ فِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَزَارًا، لَيْسَ فَقَطْ لِلْمُسْلِمِينَ، بَلْ أَيْضًا لِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَقَدْ كَانَ الرُّومُ يَزُورُونَ قَبْرَهُ، وَيَتَبَرَّكُونَ بِهِ، بَلْ إِنَّهُمْ كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ عِنْدَ هَذَا الْقَبْرِ إِذَا مَسَّهُمْ جَفَافٌ أَوْ قَحْطٌ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى «أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ» فِي قَبْرِهِ نَظْرَتَهُمْ إِلَى قِدِّيسٍ.

وَالْآنَ يَسْمَعُ هَذَا الْمُجَاهِدُ الْعَظِيمُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ صَبَاحِهِ إِلَى مَسَائِهِ، رَوْعَةَ الْأَذَانِ الْمُنْطَلِقِ مِنْ مَآذِنِ الْمَسَاجِدِ الْمُنْتَشِرَةِ: اللَّهُ أَكْبَرُ.. اللَّهُ أَكْبَرُ.. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.. أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ
عَاشِقُ الشَّهَادَةِ

«الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ» ﷺ أَحَدُ أَبْطَالِ الْإِسْلَامِ الْأَقْوِيَاءِ، بَايَعَ الرَّسُولَ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ... ﴾ (سُورَةُ الْفَتْحِ: 18).

وَ«الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ» هُوَ أَخُو «أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ» ﷺ، خَادِمِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَقَدْ شَارَكَ «الْبَرَاءُ» فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْغَزَوَاتِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَاشَ حَيَاتَهُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَانَتْ كُلُّ أَمَانِيهِ أَنْ يَمُوتَ شَهِيدًا، وَقَتَلَ بِمُفْرَدِهِ مِائَةَ رَجُلٍ فِي الْمَعَارِكِ الَّتِي شَارَكَ فِيهَا.

وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْبَطَلُ حِينَ يُجَاهِدُ الْمُشْرِكِينَ بِسَيْفِهِ مِمَّنْ يَبْحَثُونَ عَنِ النَّصْرِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَبْحَثُ عَنِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَقَدْ كَانَ شِعَارُهُ دَائِمًا (اللَّهَ وَالْجَنَّةَ)، وَقَدْ أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ بِأَنَّهُ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ.

دَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا أَخُوهُ «أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ» ﷺ فَوَجَدَهُ يَتَغَنَّى بِالشِّعْرِ؛ فَقَدْ مَنَحَهُ اللَّهُ صَوْتًا جَمِيلًا، فَقَالَ لَهُ «أَنَسٌ»:

ـ يَا أَخِي تَتَغَنَّى بِالشِّعْرِ، وَقَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ.. الْقُرْآنَ؟!

رَدَّ «الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ» قَائِلًا:

ـ أَتَخَافُ عَلَيَّ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي؟ لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَحْرِمَنِي الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِهِ، وَقَدْ قَتَلْتُ بِمُفْرَدِي مِائَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ!

وَشَارَكَ «الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ» ﷺ فِي حُرُوبِ الرِّدَّةِ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ «أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ» ﷺ، وَأَظْهَرَ فِيهَا بُطُولَةً فَائِقَةً، أَبْهَرَتْ عُقُولَ مَنْ رَآهَا.

وَهَا هُوَ ذَا يَوْمَ الْيَمَامَةِ رَاحَ يُقَاتِلُ أَتْبَاعَ «مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ» بِسَيْفِهِ، وَهُمْ يَتَسَاقَطُونَ أَمَامَهُ قَتْلَى الْوَاحِدُ تِلْوَ الْآخَرِ، وَلَمْ يَكُنْ جَيْشُ «مُسَيْلِمَةَ» ضَعِيفًا وَلَا قَلِيلًا، بَلْ كَانَ أَخْطَرَ جُيُوشِ الرِّدَّةِ، وَقَدْ تَصَدَّوْا لِهُجُومِ الْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ عُنْفٍ، حَتَّى كَادُوا أَنْ يَأْخُذُوا زِمَامَ الْمَعْرَكَةِ، وَتَحَوَّلَتْ مُقَاوَمَتُهُمْ إِلَى هُجُومٍ، فَبَدَأَ الْخَوْفُ يَتَسَرَّبُ إِلَى صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَسْرَعَ «خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ» قَائِدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى «الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ»، وَقَالَ لَهُ:

ـ تَكَلَّمْ يَا «بَرَاءُ».

فَقَامَ «الْبَرَاءُ» وَصَاحَ فِي الْمُسْلِمِينَ مُشَجِّعًا، وَمُحَفِّزًا لَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، قَائِلًا بِصَوْتِهِ الْعَذْبِ الْمُتَمَيِّزِ:

ـ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، لَا مَدِينَةَ لَكُمُ الْيَوْمَ، وَإِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَالْجَنَّةُ.

وَرَكِبَ الْبَطَلُ فَرَسَهُ، وَانْدَفَعَ نَحْوَ الْأَعْدَاءِ، وَمَعَهُ الْمُسْلِمُونَ يُقَاتِلُونَ قِتَالًا شَدِيدًا، حَتَّى رَجَحَتْ كِفَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَانْدَفَعَ «مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ» مُتَقَهْقِرًا وَجَيْشُهُ إِلَى الْخَلْفِ، وَهُوَ يَصِيحُ: الْحَدِيقَةَ.. الْحَدِيقَةَ.

وَدَخَلَ عَشَرَاتُ الْأُلُوفِ مِنْ أَتْبَاعِ «مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ» دَاخِلَ الْحَدِيقَةِ ذَاتِ الْأَسْوَارِ الْعَالِيَةِ، وَأَغْلَقُوا بَابَهَا الْخَشَبِيَّ عَلَيْهِمْ. وَوَقَفَ الْمُسْلِمُونَ أَمَامَ الْحَدِيقَةِ يُفَكِّرُونَ فِي حِيلَةٍ كَيْ يَقْتَحِمُوهَا، فَإِذَا بِـ «الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ» يَصِيحُ قَائِلًا:

ـ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، احْمِلُونِي حَتَّى أُمْسِكَ بِيَدَيَّ أَعْلَى سُورِ الْحَدِيقَةِ.

وَفَعَلَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ، وَأَصْبَحَ «الْبَرَاءُ» أَعْلَى السُّورِ، فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ

دَاخِلَ الْحَدِيقَةِ، وَانْدَفَعَ نَاحِيَةَ بَابِ الْحَدِيقَةِ مِنَ الدَّاخِلِ، فَفَتَحَهُ رَغْمَ عَشَرَاتِ الطَّعَنَاتِ الَّتِي أَصَابَتْ جَسَدَهُ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ الْحَدِيقَةَ، وَأَخَذُوا يَقْتُلُونَ أَصْحَابَ «مُسَيْلِمَةَ»، فَقَتَلُوا مِنْهُمُ الْكَثِيرَ، وَقُتِلَ «مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ» نَفْسُهُ، وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَعْرَكَةِ الَّتِي سُمِّيَتْ بِمَعْرَكَةِ «الْيَمَامَةِ».

وَرَجَعَ «الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ» الَّذِي كَانَ يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ.. رَجَعَ الْبَطَلُ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ جُرْحًا مَا بَيْنَ ضَرْبَةِ سَيْفٍ، أَوْ رَمْيَةِ سَهْمٍ، وَحُمِلَ إِلَى خَيْمَتِهِ لِيُدَاوِيَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، وَمِنْهُمْ «خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ» قَائِدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ بِنَفْسِهِ، لِمُدَّةِ شَهْرٍ كَامِلٍ.

وَعِنْدَمَا شُفِيَ «الْبَرَاءُ» مِنْ جِرَاحَاتِ مَعْرَكَةِ «الْيَمَامَةِ»، انْطَلَقَ «عَاشِقُ الشَّهَادَةِ» مَعَ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي ذَهَبَتْ لِقِتَالِ الْفُرْسِ، الَّذِينَ اسْتَخْدَمُوا فِي مَعَارِكِهِمْ «خَطَاطِيفَ» مِنْ حَدِيدٍ مُعَلَّقَةٍ فِي سَلَاسِلَ حَدِيدِيَّةٍ مُلْتَهِبَةٍ بَعْدَ وَضْعِهَا فِي نَارٍ شَدِيدَةٍ، وَتُلْقَى هَذِهِ «الْخَطَاطِيفُ» مِنْ حُصُونِهِمْ، فَإِذَا تَلَامَسَتْ هَذِهِ «الْخَطَاطِيفُ» مَعَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَطْبَقَتْ عَلَيْهِ، فَيُرْفَعُ إِلَى أَعْلَى الْحِصْنِ، حَيْثُ يُقْتَلُ.

وَفِي لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحَظَاتِ، أَمْسَكَ أَحَدُ «الْخَطَاطِيفِ» بِـ «أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ» ﷺ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ، فَرَآهُ أَخُوهُ «الْبَرَاءُ»، فَأَسْرَعَ نَحْوَهُ، وَقَبَضَ عَلَى السِّلْسِلَةِ الْمُلْتَهِبَةِ بِيَدَيْهِ، وَأَخَذَ يَجُرُّهَا إِلَى أَسْفَلَ حَتَّى قُطِعَتْ، فَأَنْقَذَ أَخَاهُ «أَنَسًا» مِنْ مَوْتٍ مُحَقَّقٍ، وَلَكِنَّ حَرَارَةَ السِّلْسِلَةِ أَذَابَتْ بَعْضَ اللَّحْمِ مِنْ يَدَيِ «الْبَرَاءِ» حَتَّى إِنَّ بَعْضَ عِظَامِهَا ظَهَرَتْ بِالْفِعْلِ! وَلَكِنَّهَا شُفِيَتْ بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ.

وَفِي مَعْرَكَـةٍ أُخْرَى مَعَ الْفُرْسِ، أَرْسَـلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ إِلَى «سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ» ﷺ بِالْكُوفَةِ لِيُرْسِلَ إِلَى «الْأَهْوَازِ» جَيْشًا، كَمَا أَرْسَـلَ إِلَى «أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ» ﷺ بِالْبَصْرَةِ، أَنْ يُرْسِلَ جَيْشًا إِلَى الْأَهْوَازِ، قَائِلًا:

ـ اجْعَلْ أَمِيرَ الْجُنْدِ «سُهَيْلَ بْنَ عَدِيٍّ»، وَلْيَكُنْ مَعَهُ «الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ».

وَالْتَقَى جَيْشُ الْمُسْـلِمِينَ الْقَادِمُ مِنَ الْكُوفَةِ، مَعَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ الْقَادِمِ مِنَ الْبَصْـرَةِ، لِيُوَاجِهُوا جَيْشَ الْأَهْوَازِ مَعَ جَيْـشِ الْفُرْسِ فِي مَعْرَكَةٍ ضَارِيَةٍ سُمِّيَتْ بِـ«مَوْقِعَةِ تُسْتَرَ»، الَّتِي بَدَأَتْ بِالْمُبَارَزَةِ بِالسُّيُوفِ، فَصَرَعَ «الْبَرَاءُ» وَحْـدَهُ مِائَةَ مُبَارِزٍ مِنَ الْفُرْسِ، وَتَسَـاقَطَ الْقَتْلَى مِـنَ الْمُتَحَارِبِينَ بِالْمِئَاتِ، وَاقْتَرَبَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مِنَ «الْبَرَاءِ» ﷺ، وَالْقِتَالُ دَائِرٌ، وَنَادَوْهُ قَائِلِينَ:

ـ أَتَذْكُرُ يَا «بَرَاءُ» قَوْلَ الرَّسُـولِ ﷺ عَنْكَ: «رُبَّ أَشْـعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ (ثَوْبَيْـنِ قَدِيمَيْنِ) لَا يُؤْبَـهُ لَهُ (لَا يَهْتَمُّ بِهِ أَحَدٌ) لَوْ أَقْسَـمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، مِنْهُمُ «الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ»؟ يَا «بَرَاءُ» أَقْسِمْ عَلَى رَبِّكَ لَيَهْزِمُهُمْ وَيَنْصُرُنَا.

وَرَفَعَ «الْبَرَاءُ» ذِرَاعَيْهِ إِلَى السَّـمَاءِ ضَارِعًـا دَاعِيًا: اللَّهُمَّ امْنَحْنَا أَكْتَافَهُمْ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ، وَأَلْحِقْنِي الْيَوْمَ بِنَبِيِّكَ.

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَخِيهِ «أَنَسٍ» الَّذِي كَانَ يُقَاتِلُ قَرِيبًا مِنْهُ نَظْرَةً طَوِيلَةً كَأَنَّهُ يُوَدِّعُهُ.

وَانْتَصَرَ الْمُسْـلِمُونَ فِي هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» ﷺ عَامَ ٢٠ مِنَ الْهِجْرَةِ. وَمَعَ شُهَدَاءِ الْمَعْرَكَةِ، كَانَ الشَّهِيدُ «الْبَرَاءُ ابْنُ مَالِكٍ» ﷺ مُبْتَسِمًا وَسَيْفُهُ بِجِوَارِهِ، وَيُمْنَاهُ تَقْبِضُ عَلَى حَفْنَةٍ مِنَ التُّرَابِ مَمْزُوجَةٍ بِدَمِهِ الطَّاهِرِ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَبْوًا..

هُوَ أَحَدُ الثَّمَانِيَةِ الَّذِينَ سَبَقُوا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَدْ عَرَضَ «أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ» ﷺ الْإِسْلَامَ عَلَى كُلٍّ مِنْ: «عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ»، وَ«الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ»، وَ«طَلْحَةَ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ»، وَ«سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ» وَ«عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ» ﷺ، فَوَافَقُوا فَوْرًا دُونَ تَرَدُّدٍ، بَلْ سَارَعُوا جَمِيعًا مَعَ «الصِّدِّيقِ» إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُبَايِعُونَهُ، وَيَحْمِلُونَ رَايَةَ الْإِسْلَامِ.

وَلَمْ يَكُنْ عُمْرُ «ابْنِ عَوْفٍ» وَقْتَهَا قَدْ تَخَطَّى الثَّلَاثِينَ، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَقِيلَ كَانَ اسْمُهُ «عَبْدَ الْكَعْبَةِ»، فَغَيَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى «عَبْدِالرَّحْمَنِ». وَكَانَ نَصِيبُ «عَبْدِ الرَّحْمَنِ» أَذًى كَثِيرًا مِنْ قُرَيْشٍ لِإِسْلَامِهِ.

وَحِينَ عَلِمَ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَشَارَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ، هَاجَرَ «ابْنُ عَوْفٍ» إِلَيْهَا.

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ عَادَ إِلَى مَكَّةَ، فَوَجَدَ الْحَالَ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنَ اضْطِهَادِ قُرَيْشٍ لِلْمُسْلِمِينَ، فَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ، وَمَكَثَ فِي الْحَبَشَةِ حَتَّى عَلِمَ بِهِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَعَادَ مِنَ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهُنَاكَ آخَى الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ بَيْنَ «عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ» وَالْأَنْصَارِيِّ «سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ» الَّذِي قَالَ لِـ «ابْنِ عَوْفٍ»:

ـ أَخِي.. أَنَا كَثِيرُ الْمَالِ.. فَخُذْ مِنْهُ مَا تَشَاءُ، وَلِي زَوْجَتَانِ، فَانْظُرْ أَيُّهُمَا

أَعْجَبُ لَكَ حَتَّى أُطَلِّقَهَا وَتَتَزَوَّجَهَا، وَلِي فِي دَارِي طَابَقٌ أَسْفَلَ، وَآخَرُ أَعْلَى، فَخُذْ مَا يَرُوقُكَ.

فَابْتَسَمَ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ» لِهَذَا الْعَرْضِ السَّخِيِّ، وَقَالَ لِـ «سَعْدٍ»:

ـ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَالِكَ وَأَهْلِكَ وَدَارِكَ.. دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ..

وَخَرَجَ إِلَى السُّوقِ؛ لِيَعْمَلَ، وَيَشْتَرِيَ، وَيَبِيعَ، وَيَرْبَحَ.

وَعِنْدَمَا عَلِمَ رَسُولُ ﷺ بِهَذَا الْمَوْقِفِ مِنْ «عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ» ﷺ، دَعَا لَهُ أَنْ يُبَارِكَ اللَّهُ فِيهِ، وَفِي عَمَلِهِ، وَفِي مَالِهِ.

وَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِدُعَاءِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَكَثُرَ مَالُ «عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ»، حَتَّى قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّكَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ، وَإِنَّكَ سَتَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَبْوًا، فَأَقْرِضِ اللَّهَ يُطْلِقْ لَكَ قَدَمَيْكَ».

وَمَا إِنْ سَمِعَ هَذَا الصَّحَابِيُّ هَذِهِ النَّصِيحَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى زَادَ مِنْ صَدَقَاتِهِ وَقُرُوضِهِ، وَأَعْلَنَ قَائِلًا:

ـ أَهْلُ الْمَدِينَةِ جَمِيعًا شُرَكَاءُ لِـ «ابْنِ عَوْفٍ» فِي مَالِهِ، ثُلُثٌ يُقْرِضُهُمْ، وَثُلُثٌ يَقْضِي عَنْهُمْ دُيُونَهُمْ، وَثُلُثٌ يَصِلُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ.

بَاعَ يَوْمًا أَرْضًا لَهُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، ثُمَّ فَرَّقَهَا جَمِيعًا فِي أَهْلِهِ مِنْ «بَنِي زُهْرَةَ»، وَعَلَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدَّمَ يَوْمًا لِجُيُوشِ الْإِسْلَامِ خَمْسَمِائَةِ فَرَسٍ، وَيَوْمًا آخَرَ قَدَّمَ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةِ رَاحِلَةٍ.

وَلَمْ يَبْعَثْ ثَرَاؤُهُ الْعَرِيضُ، وَمَالُهُ الَّذِي لَا يُحْصَى، فِي نَفْسِهِ أَيَّ قَدْرٍ مِنَ الْكِبْرِ أَوِ الْخُيَلَاءِ، حَتَّى قِيلَ عَنْهُ: إِنَّهُ لَوْ رَآهُ غَرِيبٌ لَا يَعْرِفُهُ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ خَدَمِهِ، مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُمَيِّزَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ.

وَشَـارَكَ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ» ﷺ فِي عِدَّةِ مَعَارِكَ وَغَزَوَاتٍ مَعَ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ، وَفِي غَزْوَةِ أُحُدٍ أَبْلَى بَلَاءً حَسَـنًا، وَأُصِيبَ بِعِشْـرِينَ جُرْحًا، إِحْدَى هَذِهِ الْإِصَابَاتِ تَرَكَتْ عَرَجًا دَائِمًا فِي إِحْدَى سَـاقَيْهِ، وَسَقَطَتْ إِحْدَى أَسْنَانِهِ الْأَمَامِيَّةِ، فَتَرَكَتْ هَتْمًا وَاضِحًا فِي نُطْقِهِ وَحَدِيثِهِ طَوَالَ حَيَاتِهِ ﷺ.

وَأَرْسَـلَهُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ عَـلَى جَيْشٍ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ إِلَى مَمْلَكَةِ «دَوْمَةِ الْجَنْـدَلِ»، فَنَصَرَهُ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ، وَأَذِنَ لَهُ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ بِـأَنْ يَتَزَوَّجَ ابْنَةَ مَلِكِهِمْ، وَهِيَ «تُمَاضِرُ بِنْتُ الْأَصْبَغِ الْكَلْبِيِّ»، فَتَزَوَّجَهَا.

وَهَكَذَا سَـارَتْ حَيَاتُهُ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، أَدَاءً كَامِلًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ لِأُمُورِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَتِجَارَةً رَابِحَةً نَاجِحَةً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَذَا عَمَلًا بِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: «اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا».

وَقَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ» ﷺ يَوْمًا:

ـ لَوْ رَفَعْتُ حَجَرًا مِنْ مَكَانِهِ لَوَجَدْتُ تَحْتَهُ ذَهَبًا وَفِضَّةً.

وَقَـدْ بَارَكَ اللَّهُ تَعَـالَى فِي أَمْوَالِهِ؛ لِأَنَّـهُ تَحَرَّى دَائِمًا الْحَـلَالَ، وَابْتَعَدَ عَنِ الْحَرَامِ وَالشُّبُهَاتِ.

وَعِنْدَمَـا كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيـنَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ، اخْتَارَ سِتَّةَ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِيَخْتَارُوا مِنْ بَيْنِهِمُ الْخَلِيفَةَ الْجَدِيدَ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ» ﷺ، وَلَكِنَّهُ رَفَضَ رَفْضًا بَاتًّا، فَهُوَ زَاهِدٌ تَمَامًا فِي هَذَا الْمَنْصِبِ، فَقَالَ لَهُ «عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» ﷺ:

ـ لَقَدْ سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ يَصِفُكَ بِأَنَّكَ أَمِينٌ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، وَأَمِينٌ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ.

جِيءَ لَهُ يَوْمًا بِطَعَامِ الْإِفْطَارِ، وَكَانَ صَائِمًا، وَعِنْدَمَا وَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَى هَذَا الطَّعَامِ الْمُتَمَيِّزِ، فَقَدَ شَهِيَّتَهُ وَبَكَى، وَقَالَ:

ـ لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا شَبِعَ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ.

وَذَاتَ يَـوْمٍ، وَالْمَدِينَةُ سَـاكِنَةٌ هَادِئَةٌ، أَخَذَ يَقْتَرِبُ مِنْ مَشَـارِفِهَا أَصْوَاتٌ عَالِيَةٌ، وَغُبَارٌ أَصْفَرُ يَتَصَاعَدُ مِنْ رِمَالِ الصَّحْرَاءِ النَّاعِمَةِ، وَعِنْدَمَا سَـأَلَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ «عَائِشَةُ» ﵂ عَنْ ذَلِكَ، أُجِيبَتْ:

ـ إِنَّهَـا قَافِلَةٌ لِـ«عَبْـدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ» جَاءَتْ مِنَ الشَّـامِ، تَحْمِلُ تِجَارَةً وَزَادًا عَلَى ظَهْرِ سَبْعِمِائَةِ رَاحِلَةٍ.

وَعَلِمَـتْ ﵂ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ مَـا حَوَتْ هَذِهِ التِّجَارَةُ وُزِّعَتْ عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ.

وَهَا هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ «عَائِشَـةُ» ﵂ تَعْـرِضُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي فِرَاشِ الْمَوْتِ وَقَـدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ خَمْسًـا وَسَـبْعِينَ عَامًا، أَنْ يُدْفَـنَ فِي حُجْرَتِهَا إِلَى جِوَارِ الرَّسُـولِ ﷺ، وَأَبِيهَا «أَبِي بَكْرٍ»، والْفَارُوقِ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» ﵄، وَلَكِنَّهُ اسْتَحْيَا أَنْ يَرْفَعَ نَفْسَهُ إِلَى هَذَا الْجِوَارِ الْجَلِيلِ.

وَتُوُفِّيَ ﵁ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْخَلِيفَةُ «عُثْمَـانُ بْنُ عَفَّانَ» ﵁، وَكَانَ قَدْ طَلَـبَ دَفْنَهُ بِجِوَارِ «عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ» ﵁؛ إِذِ اتَّفَقَا يَوْمًا أَيُّهُمَا مَاتَ بَعْدَ الْآخَرِ يُدْفَنُ إِلَى جِوَارِ صَاحِبِهِ.

سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ
اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِهِ

رَحَلَ «مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ» ﷺ كَأَوَّلِ سَفِيرٍ اخْتَارَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، لِيَكُونَ دَاعِيَةً إِلَى اللَّهِ، وَمُبَشِّرًا بِدِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْهُدَى وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، فَكَانَ نِعْمَ السَّفِيرُ، وَمُمَهِّدًا لِهِجْرَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَاتَّخَذَ «مُصْعَبٌ» ﷺ مِنْ دَارِ «أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ الْأَنْصَارِيِّ» ﷺ؛ مَكَانًا يُعَلِّمُ فِيهِ النَّاسَ التَّوْحِيدَ، وَيُعَرِّفُهُمْ بِأَرْكَانِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ مَا مَعَهُ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيُوَضِّحُ لَهُمْ فِي رِفْقٍ عَظِيمٍ أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَجَدِيرٌ بِالتَّقْدِيرِ وَالْعِبَادَةِ.

وَبَدَأَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَأْتُونَ إِلَى دَارِ «أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ» يَسْمَعُونَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيَعْرِفُونَ طَبِيعَةَ الدِّينِ الْجَدِيدِ، فَتَتَفَتَّحُ صُدُورُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ لِهَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ، وَيُسَلِّمُونَ عَلَى «مصعب بن عمير» ﷺ سَفِيرِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَمِنْ بَيْنِ مَنْ أَتَوْا يَسْتَمِعُونَ إِلَى هَذَا الدِّينِ الْجَدِيدِ: «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» رَئِيسُ قَبِيلَةِ «بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ» وَهُوَ ابْنُ خَالَةِ «أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ»، رَجُلٌ فِي الْحَادِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عُمْرِهِ، وَسِيمٌ، فَارِعُ الطُّولِ، مُشْرِقُ الْوَجْهِ.

وَمَا إِنْ سَمِعَ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» كَلِمَاتِ «مُصْعَبٍ» الرَّقِيقَةَ، وَآيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمُضِيئَةَ؛ حَتَّى كَانَتْ هِدَايَةُ اللَّهِ قَدْ أَضَاءَتْ نَفْسَهُ وَرُوحَهُ، فَأَعْلَنَ

إِسْلَامَهُ عَلَى الْفَوْرِ عَلَى يَدِ «مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ»، وَبِإِسْلَامِهِ أَشْرَقَتْ فِي الْمَدِينَةِ شَمْسُ الْإِسْلَامِ. فَذَهَبَ وَقَالَ لِقَبِيلَةِ «بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ»:

ـ كَلَامُ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تَدْخُلُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ.

فَأَسْلَمُوا جَمِيعًا دُونَ تَرَدُّدٍ، فَكَانَ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» ﷺ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ بَرَكَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَاسْتَضَافَ «مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ» فِي دَارِهِ؛ لِيَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَوْحِيدِ اللَّهِ.

وَعِنْدَمَا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَحْبُهُ الْكِرَامَ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَانَتْ دُورُ قَبِيلَةِ «بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ» مُفَتَّحَةَ الْأَبْوَابِ لِلْمُهَاجِرِينَ، وَكَانَتْ أَمْوَالُهُمْ كُلُّهَا تَحْتَ تَصَرُّفِهِمْ فِي غَيْرِ مَنٍّ وَلَا أَذًى وَلَا حِسَابٍ. وَبَعْدَ الْهِجْرَةِ آخَى النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ بَيْنَ «سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» وَ«سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ» ﷺ.

وَيُلَازِمُ «ابْنُ مُعَاذٍ» ﷺ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَالْمَوَاقِفِ، وَيَقْوَى إِيمَانُهُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، حَتَّى جَاءَتْ غَزْوَةُ «بَدْرٍ»، وَيَجْمَعُ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؛ لِيُشَاوِرَهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ وَشِيكَةِ الْحُدُوثِ، فَقَالَ ﷺ لِلْأَنْصَارِ:

ـ أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ..

وَيَنْهَضُ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» ﷺ فِي عَزْمٍ وَقُوَّةٍ وَإِيمَانٍ قَائِلًا:

ـ يَا رَسُولَ اللَّهِ .. لَقَدْ آمَنَّا بِكَ، وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ، فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا،

إِنَّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللِّقَاءِ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ.

فَتَأَلَّقَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رِضًا وَسَعَادَةً وَغِبْطَةً، وَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ:

ـ سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ.

وَحَمَلَ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» ﷺ لِوَاءَ الْأَوْسِ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا، وَكَانَ النَّصْرُ الْمُبِينُ لِلنَّبِيِّ وَالْمُسْلِمِينَ.

وَفِي غَزْوَةِ «أُحُدٍ» أَبْدَى «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» ﷺ شَجَاعَةً فَائِقَةً، وَثَبَتَ بِجِوَارِ الرَّسُولِ ﷺ حِينَ وَلَّى النَّاسُ، يَذُودُ وَيُدَافِعُ فِي اسْتِبْسَالٍ مُنْقَطِعِ النَّظِيرِ.

وَجَاءَتْ غَـزْوَةُ «الْخَنْدَقِ»، وَقَدِ اتَّفَقَ يَهُودُ «بَنِـي قُرَيْظَةَ» مَعَ قُرَيْشٍ إِذَا هُمْ خَرَجُوا لِقِتَالِ الْمُسْـلِمِينَ، فَإِنَّ «بَنِي قُرَيْظَةَ» سَيَقِفُونَ بِجَانِبِهِمْ فِي هَذَا الْقِتَالِ، بِدَوْرٍ تَخْرِيبِيٍّ فِي الْمَدِينَةِ.

وتَمَّ حَفْرُ الْخَنْـدَقِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَأَتَى جَيْشُ قُرَيْـشٍ بِآلَافِ الْمُقَاتِلِينَ، وَشَـهِدَتِ الْمَدِينَةُ حِصَارًا رَهِيبًا، وَاسْتَعَدَّ الْمُسْلِمُونَ لِلْحَرْبِ، وَخَرَجَ «سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ» حَامِلًا سَيْفَهُ وَرُمْحَهُ، وَهُوَ يُنْشِدُ:

* مَا أَجْمَلَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلْ *

وَفِي إِحْـدَى الْجَوْلَاتِ أُصِيبَ «سَـعْدٌ» ﷺ بِسَـهْمٍ قَذَفَهُ أَحَدُ الْمُشْـرِكِينَ، وَكَانَتِ الْإِصَابَةُ فِي ذِرَاعِهِ، وَتَفَجَّرَ الدَّمُ غَزِيرًا، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُنْصَبَ لَهُ خَيْمَةٌ حَتَّى يَكُونَ عَلَى قُرْبٍ مِنْهُ دَائِمًا فِي أَثْنَاءِ مَرَضِهِ.

وَبَعْدَ أَنْ يَئِسَتْ قُرَيْشٌ مِنَ اقْتِحَامِ الْمَدِينَةِ لِوُجُودِ الْخَنْدَقِ، عَادُوا مَخْذُولِينَ إِلَى مَكَّةَ، وَرَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُحَاصِرَ الْمُسْـلِمُونَ يَهُودَ «بَنِي قُرَيْظَةَ» جَزَاءَ خِيَانَتِهِمُ الْعَهْدَ.

وَتَمَّ الْحِصَارُ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا، اسْتَسْلَمُوا بَعْدَهَا، وَأَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يُحْضِرُوا لَهُ «سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ»، فَجَاءَ عَلَى دَابَّةٍ وَقَدْ أَرْهَقَتْهُ إِصَابَتُهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ:

ـ يَا «سَعْدُ»، احْكُمْ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ.

قَالَ «سَعْدٌ» ﷺ:

ـ إِنِّـي أَرَى أَنْ يُقْتَـلَ مُقَاتِلُوهُمْ، وَتُسْـبَى ذَرَارِيُّهُمْ (نِسَـاؤُهُمْ وَأَطْفَالُهُمْ)، وَتُقَسَّمَ أَمْوَالُهُمْ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

ـ لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.

وَنَفَّذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا حَكَمَ بِهِ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» فِي يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ.

وَقَدْ كَانَ هَذَا الْحُكْمُ أَيْضًا طِبْقًا لِشَرِيعَةِ الْيَهُودِ، بَلْ أَرْفَقَ وَأَرْحَمَ بِهِمْ مِنْ حُكْمِ شَرِيعَتِهِمْ.

وَلَكِنَّ جُرْحَ «سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» ﷺ زَادَ خَطَرُهُ، وَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعِيَادَتِهِ، فَوَجَدَهُ فِي لَحْظَةِ الْوَدَاعِ، فَدَعَا لَهُ الرَّسُولُ ﷺ قَائِلًا:

ـ اللَّهُمَّ إِنَّ «سَعْدًا» قَدْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ، وَصَدَّقَ رَسُولَكَ، وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ، فَتَقَبَّلْ رُوحَهُ بِخَيْرِ مَا تَقَبَّلْتَ رُوحًا.

وَفَتَحَ «سَعْدٌ» ﷺ عَيْنَيْهِ وَقَالَ:

ـ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا إِنِّي لَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.

رَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِلًا:

ـ هَنِيئًا لَكَ أَبَا عَمْرٍو.

وَاسْتُشْهِدَ الْبَطَلُ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» ﷺ وَعُمْرُهُ سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ عَامًا.

وَقَدْ قَالَ مَنْ حَفَرَ قَبْرَ «سَعْدٍ»:

ـ كُنَّا كُلَّمَا حَفَرْنَا طَبَقَةً مِنْ تُرَابٍ، شَمَمْنَا رِيحَ الْمِسْكِ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى اللَّحْدِ.

وَكَانَ عَزَاءُ الْمُسْلِمِينَ كَبِيرًا عِنْدَمَا سَمِعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

ـ لَقَدِ اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ «سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ».

زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ
صَقْرُ يَوْمِ الْيَمَامَةِ

الصَّحَابِـيُّ الْجَلِيلُ «زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ هُوَ الْأَخُ الْأَكْبَرُ لِلْفَارُوقِ «عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ» ﷺ. دَخَلَ «زَيْدٌ» فِي دِينِ الْإِسْـلَامِ قَبْلَ «عُمَرَ»، وَتَمَيَّزَ بِبَشَرَةٍ سَمْرَاءَ، وَبَدَنٍ طَوِيلٍ لِلْغَايَةِ، وَقُوَّةٍ بَدَنِيَّةٍ وَاضِحَةٍ. وَكَانَ بَطَلًا بَاهِرَ الْبُطُولَةِ، وَكَانَ إِيمَانُهُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ وَبِدِينِهِ إِيمَانًا وَثِيقًا، وَبَعْدَ الْهِجْرَةِ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَيَّةِ مَعْرَكَةٍ أَوْ غَزْوَةٍ، وَفِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ لَمْ يَكُنْ «زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ يَبْحَثُ عَنِ النَّصْرِ بِقَدْرِ مَا كَانَ يَبْحَثُ عَنِ الشَّهَادَةِ.

فَفِـي مَعْرَكَةِ «بَدْرٍ» كَانَ لِلْبَطَلِ «زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ» دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَوَّلِ مَعْرَكَةٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ. وَفِي غَزْوَةِ «أُحُدٍ» وَبَيْنَمَا كَانَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَلَى أَشُدِّهِ، رَاحَ «زَيْدٌ» يَضْرِبُ بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَيَقْضِي عَلَى الْأَعْدَاءِ وَاحِدًا تِلْوَ الْآخَرِ، وَسَـقَطَتْ دِرْعُهُ عَنْهُ، فَأَصْبَحَ أَقْرَبَ مِنَ الْقَتْلِ، وَرَآهُ أَخُوهُ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ، فَصَاحَ قَائِلًا:

ـ خُذْ دِرْعِي يَا «زَيْدُ»، فَقَاتِلْ بِهَا.

فَأَجَابَهُ «زَيْدٌ» فِي شَجَاعَةٍ مُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ:

ـ إِنِّي أُرِيدُ مِنَ الشَّهَادَةِ مَا تُرِيدُهُ يَا «عُمَرُ».

وَظَـلَّ «زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ» يُقَاتِلُ بِغَيْرِ دِرْعٍ فِي فِدَائِيَّةٍ بَاهِرَةٍ، وَاسْتِبْسَـالٍ عَظِيمٍ، وَلَكِنْ لَمْ تُكْتَبْ لَهُ الشَّهَادَةُ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ.

وَتَمُرُّ الْأَيَّامُ وَ «زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ لَا يَتْرُكُ مَعْرَكَةً يَخُوضُهَا الْمُسْلِمُونَ إِلَّا وَيُبْلِي فِيهَا بَلَاءً حَسَنًا.

وَبَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاخْتِيَارِ «أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ» ﷺ خَلِيفَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ، عَلِمَ «الصِّدِّيقُ» ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْيَمَامَةِ الْتَفُّوا حَوْلَ «مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ» الَّذِي ادَّعَى النُّبُوَّةَ، فَاقْتَرَحَ عَلَيْهِ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ وَيُدْعَى «الرَّجَّالَ بْنَ عُنْفُوَةَ» أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَيُعِيدَهُمْ إِلَى رُشْدِهِمْ، وَيُثَبِّتَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَذِنَ لَهُ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَتَوَجَّهَ «الرَّجَّالُ بْنُ عُنْفُوَةَ» إِلَى أَهْلِ الْيَمَامَةِ، وَعِنْدَمَا رَأَى كَثْرَتَهُمُ الْهَائِلَةَ «أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُقَاتِلِينَ الْأَشِدَّاءِ»، ظَنَّ أَنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ الْمُسْلِمِينَ، فَحَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ الْغَادِرَةُ أَنْ يَحْجِزَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُمْ مَكَانًا فِي الدَّوْلَةِ الَّتِي سَيُقِيمُهَا «مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ» الَّتِي ظَنَّهَا مُقْبِلَةً وَآتِيَةً لَا مَحَالَةَ.

فَتَرَكَ الْإِسْلَامَ وَانْضَمَّ لِصُفُوفِ «الْكَذَّابِ» الَّذِي وَعَدَهُ بِوُعُودٍ سَخِيَّةٍ، وَكَانَ خَطَرُ «الرَّجَّالِ بْنِ عُنْفُوَةَ» عَلَى الْإِسْلَامِ أَشَدَّ مِنْ خَطَرِ «مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ» نَفْسِهِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْتَغَلَّ إِسْلَامَهُ السَّابِقَ، وَالْفَتْرَةَ الَّتِي عَاشَهَا بِالْمَدِينَةِ أَيَّامَ الرَّسُولِ ﷺ، وَحِفْظَهُ لِآيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَعَلَاقَتَهُ بِخَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، اسْتَغَلَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بِخُبْثٍ شَدِيدٍ فِي دَعْمِ «مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ»، وَتَأْكِيدِ نُبُوَّتِهِ الْكَاذِبَةِ، فَسَارَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْيَمَامَةِ:

- إِنَّنِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّهُ أَشْرَكَ «مُسَيْلِمَةَ بْنَ حَبِيبٍ» فِي أَمْرِ النُّبُوَّةِ، وَمَا دَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَاتَ، فَأَحَقُّ النَّاسِ بِحَمْلِ رَايَةِ النُّبُوَّةِ، وَاسْتِقْبَالِ الْوَحْيِ بَعْدَهُ هُوَ «مُسَيْلِمَةُ»!!

وَوَصَلَتْ أَنْبَـاءُ «الرَّجَّالِ بْنِ عُنْفُوَةَ» إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَغَيْظَ الْمُسْـلِمُونَ مِنْ أَمْـرِ هَذَا الْمُرْتَدِّ الْخَطِرِ الَّذِي يُضِلُّ النَّاسَ ضَلَالًا بَعِيدًا، وَكَانَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ قَدْ تَنَبَّأَ لَهُ ـ دُونَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَهُ ـ عِنْدَمَا جَلَسَ يَوْمًا وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَالَ:

ـ إِنَّ فِيكُمْ لَرَجُلًا ضِرْسُهُ فِي النَّارِ أَعْظَمُ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ!!

وَأَمَـرَ الْخَلِيفَـةُ «أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيـقُ» ﷺ بِتَجْهِيزِ جَيْشٍ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ لِلْقَضَاءِ عَلَى «مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ» وَجَيْشِهِ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ هَذَا الْجَيْشِ «خَالِدُ ابْـنُ الْوَلِيدِ» ﷺ، وَدُفِعَ لِـوَاءُ الْجَيْشِ إِلَى «زَيْدِ بْـنِ الْخَطَّابِ» ﷺ، وَالْتَقَى الْجَيْشَانِ فِي مَعْرَكَةِ الْيَمَامَةِ، وَقَاتَلَ أَتْبَاعُ «مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ» قِتَالًا مُسْتَمِيتًا، وَمَالَتِ الْمَعْرَكَةُ فِي أَوَّلِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَسَقَطَ مِنْهُمْ شُهَدَاءُ كَثِيرُونَ، وَرَأَى «زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ مَشَـاعِرَ الْفَزَعِ تُرَاوِدُ بَعْضَ الْمُسْـلِمِينَ، فَعَلَا رَبْوَةً عَالِيَةً وَصَاحَ قَائِلًا:

ـ أَيُّهَا النَّاسُ .. عَضُّوا عَلَى أَضْرَاسِكُمْ، وَاضْرِبُوا فِي عَدُوِّكُمْ، وَامْضُوا قُدُمًا.. فَوَاللَّهِ لَا أَتَكَلَّمُ حَتَّى يَهْزِمَهُمُ اللَّهُ، أَوْ أَلْقَاهُ سُبْحَانَهُ فَأُكَلِّمَهُ بِحُجَّتِي.

وَانْدَفَعَ الْبَطَلُ وَمِنْ وَرَائِهِ جُمُوعُ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدِ ازْدَادُوا حَمَاسًا وَثِقَةً فِي النَّصْـرِ، وَكَانَ كُلُّ مَا يَهْتَمُّ بِهِ «زَيْدٌ» هُوَ الْعُثُـورَ عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ «الرَّجَّالِ بْنِ عُنْفُـوَةَ»، وَبِالْفِعْلِ عَثَرَ عَلَيْهِ، وَبَعْدَ عِدَّةِ مُحَاوَلَاتٍ لِلِاقْتِرَابِ مِنْهُ، أَمْسَـكَ بِهِ وَقَطَعَ بِسَيْفِهِ رَأْسَهُ الْمَمْلُوءَ بِالْكَذِبِ وَالْخِسَّةِ.

وَتَوَالَـتِ الِانْتِصَـارَاتُ، وَقُتِلَ «مُسَـيْلِمَةُ الْكَـذَّابُ» نَفْسُـهُ، وَحَقَّقَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ النَّصْرَ الْمُظَفَّرَ، وَرَفَعَ «زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ ذِرَاعَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ

شَـاكِرًا رَبَّهُ عَلَى هَذَا النَّصْرِ، مُتَمَنِّيًا أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ الشَّـهَادَةَ، وَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذَا الْبَطَلِ، فَسَقَطَ شَهِيدًا كَمَا أَرَادَ.

عَادَ جَيْشُ الْإِسْلَامِ إِلَى الْمَدِينَةِ مُظَفَّرًا، بَعْدَ أَنْ قَضَى عَلَى جُيُوشِ الْمُرْتَدِّينَ، وَأَخَذَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ يَسْتَقْبِلُ مَعَ الْخَلِيفَةِ «أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ» ﷺ أُولَئِكَ الْعَائِدِينَ الْمُنْتَصِرِينَ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ بِشَـوْقٍ أَخَاهُ الْعَائِدَ، وَلَكِنْ قَالَ لَهُ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ:

ـ لَقَدْ ذَهَبَ أَخُوكَ «زَيْدٌ» إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ.

فَقَالَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ فِي تَأَثُّرٍ شَدِيدٍ:

ـ رَحِمَ اللَّهُ «زَيْدًا».. سَبَقَنِي إِلَى الْحُسْنَيَيْنِ.. أَسْلَمَ قَبْلِي .. وَاسْتُشْهِدَ قَبْلِي..

سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ
حَامِلُ رَايَةِ الْأَنْصَارِ

هَـذَا الصَّحَابِـيُّ الْجَلِيلُ «سَـعْدُ بْنُ عُبَـادَةَ» الْأَنْصَارِيُّ هُوَ زَعِيـمُ قَبِيلَةِ «الْخَزْرَجِ»، كَمَا كَانَ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» زَعِيمَ قَبِيلَةِ «الْأَوْسِ»، فَكِلَاهُمَا زَعِيمَا أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ أَسْـلَمَ كُلٌّ مِنْهُمَا مُبَكِّرًا، وَقَدْ شَـهِدَ «سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ» ﷺ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةَ مَعَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ.

وَلَعَلَّ «سَـعْدَ بْنَ عُبَادَةَ» ﷺ هُـوَ الْوَحِيدُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَـةِ الَّذِي عَذَّبَتْهُ قُرَيْشٌ، مِثْلَمَا عَذَّبَتْ مُسْلِمِي مَكَّةَ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا تَمَّتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ سِرًّا، حَيْثُ بَايَـعَ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ وَاتَّفَقُوا مَعَـهُ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ يَقِفُونَ مَعَهُ؛ يُسَانِدُونَهُ، وَيُنَاصِرُونَهُ، وَيُدَافِعُونَ عَنْهُ.

وَعَلِمَـتْ قُرَيْشٌ بِتِلْـكَ الْمُبَايَعَةِ، فَجُنَّ جُنُونُ رِجَالِهَـا، وَرَاحُوا يُطَارِدُونَ الرَّكْبَ الْعَائِدَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْمُبَايَعَةِ، وَأَمْسَكُوا بِأَحَدِ رِجَالِ الْأَنْصَارِ، وَكَانَ هُوَ «سَـعْدَ بْنَ عُبَادَةَ» ﷺ دُونَ أَنْ يَعْرِفُوا مَكَانَتَهُ. وَرَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَسَـحَبُوهُ عَائِدِينَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ! حَيْثُ احْتَشَدُوا حَوْلَهُ يَضْرِبُونَهُ، وَيُنْزِلُونَ بِهِ مَا شَاءُوا مِنَ الْعَذَابِ.

وَعِنْدَمَـا زَادَ الْعَذَابُ عَلَى «سَـعْدِ بْنِ عُبَادَةَ» ﷺ، أَخَـذَ يُنَادِي عَلَى رِجَالٍ مِنْهُـمْ كَانَ يُسَـاعِدُهُمْ فِي تِجَارَتِهِمْ إِذَا مَـرُّوا بِالْمَدِينَةِ، مِثْـلَ: «الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ»، وَ«الْحَارِثِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ»، فَأَسْرَعَ الرَّجُلَانِ إِلَى «سَعْدٍ» وَعَرَفَاهُ،

وَخَلَّصَاهُ مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ وَأَطْلَقَا سَرَاحَهُ، وَعَادَ «سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ» ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَدْ أَصَرَّ عَلَى نُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ، وَالْإِسْلَامِ.

وَبَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، سَخَّرَ «سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ» مَالَهُ وَكُلَّ مَا يَمْلِكُ لِخِدْمَةِ الْمُهَاجِرِينَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْأَنْصَارِ يَكْفُلُ وَاحِدًا أَوِ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنَّ «سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ» ﷺ كَانَ يَكْفُلُ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ؛ مِمَّا جَعَلَ الرَّسُولَ ﷺ يَدْعُو اللَّهَ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى آلِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ».

كَمَا جَعَلَ «سَعْدٌ» قُوَّتَهُ وَمَهَارَاتِهِ الْحَرْبِيَّةَ فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ؛ فَقَدْ كَانَ يُجِيدُ الرَّمْيَ بِالسِّهَامِ، وَفِي غَزَوَاتِهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ فِدَائِيَّتُهُ حَازِمَةً وَحَاسِمَةً؛ فَمَعَ كُلِّ غَزْوَةٍ كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَايَتَانِ: رَايَةُ الْمُهَاجِرِينَ مَعَ «عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»، وَرَايَةُ الْأَنْصَارِ مَعَ «سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ».

وَكَانَ مِنْ صِفَاتِ هَذَا الْبَطَلِ، أَنَّهُ كَانَ صَرِيحًا لِلْغَايَةِ، فَمَا يُقِرُّ بِهِ قَلْبُهُ؛ يَجْرِي فَوْرًا عَلَى لِسَانِهِ، فَصَرَاحَتُهُ لَا تَعْرِفُ التَّرَيُّثَ أَوِ الْمُدَارَاةَ.

فَفِي فَتْحِ مَكَّةَ كَانَ «سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ» ﷺ أَمِيرًا عَلَى أَحَدِ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ، فَمَا إِنْ دَخَلَ مَكَّةَ وَتَذَكَّرَ مَا حَدَثَ لَهُ مِنْ أَهْلِهَا، حَتَّى صَاحَ قَائِلًا:

ـ الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمُ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ.

وَأَبْلَغَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ مَا سَمِعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ:

ـ بَلِ الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ.

وَأَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ «عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ» ﷺ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى «سَعْدٍ» ﷺ، وَيَأْخُذَ الرَّايَةَ مِنْهُ، وَيَحِلَّ مَحَلَّهُ فِي إِمَارَةِ الْجَيْشِ.

وَحِينَ انْتَهَى الْمُسْلِمُونَ مِنْ غَزْوَةِ «حُنَيْنٍ» ظَافِرِينَ غَانِمِينَ، وَزَّعَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ الْغَنَائِـمَ عَلَى الْمُسْـلِمِينَ، وَخَاصَّةً الَّذِينَ دَخَلُوا الْإِسْـلَامَ مُنْذُ وَقْتٍ قَرِيبٍ، وَعَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْـلِمِينَ. أَمَّـا الْأَنْصَارُ فَلَمْ يُعْطِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ شَـيْئًا، وَبِصَرَاحَتِهِ الْمُعْتَادَةِ قَالَ «سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ» ﷺ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

ـ يَا رَسُـولَ اللَّهِ لَقَدْ أَعْطَيْتَ الْغَنَائِمَ لِأَصْحَابِكَ الْمُهَاجِرِينَ، وَلَكِنَّ الْأَنْصَارَ لَمْ تُعْطِهِمْ شَيْئًا.

وَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

ـ وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا «سَعْدُ»؟

أَجَابَ «سَعْدٌ» بِالصَّرَاحَةِ نَفْسِهَا:

ـ مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

ـ إِذَنْ فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ.

وَجَمَعَ «سَعْدٌ» ﷺ قَوْمَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَخَطَبَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً أَبْكَاهُمْ جَمِيعًا، وَقَالَ لَهُمْ:

ـ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ.

فَمَلَأَتْ كَلِمَاتُ الرَّسُولِ الْجَلِيلِ ﷺ أَفْئِدَتَهُمْ سَلَامًا، وَأَرْوَاحَهُمْ ثَرَاءً، وَأَنْفُسَهُمْ عَافِيَةً.

وَعَلَى إِثْرِ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، الْتَفَّ حَوْلَ «سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ» جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي سَقِيفَةِ «بَنِي سَاعِدَةَ» مُنَادِينَ بِأَنْ يَكُونَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَتَزَعَّمَ هَذَا الرَّأْيَ «سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ»، بَيْنَمَا تَزَعَّمَ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» بِأَنْ يَكُونَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ «أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ»، وَاسْتَنْكَرَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَوْقِفَ «سَعْدٍ».

وَفِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ خِلَافَةِ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» ﷺ، ذَهَبَ «سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ» إِلَيْهِ، وَبِصَرَاحَتِهِ الْمَعْهُودَةِ قَالَ لِـ «عُمَرَ»:

ـ كَانَ صَاحِبُكَ «أَبُو بَكْرٍ» أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْكَ، وَقَدْ أَصْبَحْتُ كَارِهًا لِجِوَارِكَ.

أَجَابَ «عُمَرُ» فِي هُدُوءٍ:

ـ إِنَّ مَنْ كَرِهَ جَارَهُ، تَحَوَّلَ عَنْهُ.

فَقَالَ «سَعْدٌ»:

ـ إِنِّي مُتَحَوِّلٌ إِلَى جِوَارِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ.

وَرَحَلَ «سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ» ﷺ إِلَى الشَّامِ، وَنَزَلَ بِأَرْضٍ تُسَمَّى «حُورَانَ»، وَمَا هِيَ سِوَى أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ حَتَّى انْتَقَلَ إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَدُفِنَ فِي مَكَانِ وَفَاتِهِ.

أَسْئِلَةٌ عَامَّةٌ عَلَى الْكِتَابِ

س1: أَيْنَ وُلِدَ «سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ» ﷺ؟ وَكَيْفَ وَصَلَ إِلَى يَثْرِبَ؟

س2: لِمَاذَا لَمْ يُشَارِكْ «سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ» ﷺ فِي غَزْوَتَيْ بَدْرٍ وَأُحُدٍ؟ وَمَا دَوْرُهُ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ؟

س3: هَلْ تَوَلَّى «سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ» ﷺ الْإِمَارَةَ؟ وَمَتَى؟ وَكَيْفَ كَانَ سُلُوكُهُ فِيهَا؟

س4: مَاذَا تَعْرِفُ عَنْ طُفُولَةِ «صُهَيْبٍ الرُّومِيِّ» ﷺ؟ وَكَيْفَ انْتَقَلَ إِلَى مَكَّةَ؟

س5: مَنِ الَّذِي قَالَ: «رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَى»؟ وَمَا قِصَّةُ هَذِهِ الْمَقُولَةِ؟

س6: مَنِ الَّذِي كَانَ يُعَذِّبُ «بِلَالَ بْنَ رَبَاحٍ» ﷺ؟ وَلِمَاذَا كَانَ يُعَذِّبُهُ؟ وَمَنِ الَّذِي أَنْقَذَهُ؟ وَكَيْفَ أَنْقَذَهُ؟ وَلِمَاذَا؟

س7: لِمَاذَا أُطْلِقَ عَلَى «بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ» ﷺ مُؤَذِّنَ الرَّسُولِ ﷺ؟ وَهَلْ أَذَّنَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ؟

س8: مَاذَا تَعْرِفُ عَنْ نَشْأَةِ «مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ» ﷺ؟ وَكَيْفَ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ؟

س9: إِلَى أَيِّ مَكَانٍ بَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ «مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ» ﷺ سَفِيرًا؟ وَهَلْ نَجَحَ فِي سِفَارَتِهِ؟ وَلِمَاذَا؟

س10: مَتَى وَكَيْفَ اسْتُشْهِدَ «مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ» ﷺ؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س11: بِمَاذَا أَشَارَ «الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو» ﷺ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س12: مَا أَهَمُّ صِفَاتِ «الْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو» ﷺ ؟ وَكَيْفَ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُجِلُّهُ وَيُقَدِّرُهُ؟

س13: مَنْ هُوَ الصَّحَابِيُّ الَّذِي يُعَدُّ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ؟ وَلِمَاذَا؟

س14: مَا الْحَادِثَةُ الْغَرِيبَةُ الَّتِي حَدَثَتْ لِـ «حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ» ﷺ يَوْمَ أُحدٍ؟ وَكَيْفَ تَصَرَّفَ تِجَاهَهَا؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س15: «أُسْرَةُ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ «عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ» ﷺ هِيَ أَوَّلُ أُسْرَةٍ آمَنَتْ بِالْإِسْلَامِ، وَأَوَّلُ أُسْرَةٍ قَدَّمَتْ شُهَدَاءَ فِي سَبِيلِ هَذَا الدِّينِ» اشْرَحِ الْعِبَارَةَ السَّابِقَةَ مُعَلِّلًا لَهَا.

س16: مَتَى وَكَيْفَ قُتِلَ «عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ» ﷺ ؟ وَكَيْفَ كَانَ اسْتِشْهَادُهُ تَوْضِيحًا لِلْحَقِيقَةِ؟

س17: كَيْفَ أَسْلَمَ «أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» ﷺ ؟ وَبِمَاذَا لَقَّبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟

س18: «كَانَ «أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» ﷺ مِنْ أَكْفَأِ قَادَةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَشْجَعِهِمْ وَأَحْكَمِهِمْ» دَلِّلْ عَلَى صِحَّةِ الْعِبَارَةِ السَّابِقَةِ.

س19: «إِنِّي أُرْسِلُ لَكَ رَجُلًا يُعَدُّ فِي الرِّجَالِ بِأَلْفِ رَجُلٍ»: مَنْ قَائِلُ الْعِبَارَةِ السَّابِقَةِ؟ وَفِيمَنْ قِيلَتْ؟ وَمَا مُنَاسَبَتُهَا؟

س20: «كَانَ «عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ» ﷺ قَوِيًّا فِي الْحَقِّ، لَا يَخْشَى فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ» اذْكُرْ مِنْ سِيرَةِ «عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ» ﷺ مَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ.

س21: مَـاذَا تَعْرِفُ عِنْ طُفُولَةِ «زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ» ﷺ ؟ وَكَيْفَ تَبَنَّاهُ «مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ» ﷺ؟ وَهَلْ ظَلَّ عَلَى بُنُوَّتِهِ فِي الْإِسْلَامِ؟

س22: كَيْفَ اسْتُشْهِدَ «زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ» ﷺ ؟ وَبِمَاذَا دَعَا لَهُ الرَّسُولُ ﷺ؟

س23: لِمَاذَا هَاجَرَ «جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» ﷺ إِلَى الْحَبَشَـةِ؟ وَكَيْفَ دَافَعَ عَنْ وُجُودِ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا؟

س24: مَتَى عَادَ «جَعْفَرٌ» ﷺ مِنَ الْحَبَشَةِ؟ وَكَيْفَ اسْتَقْبَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ؟

س25: مَتَـى قَابَـلَ «عَبْدُ اللَّهِ بْـنُ رَوَاحَةَ» ﷺ النَّبِـيَّ ﷺ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ؟ وَهَلْ شَجَّعَهُ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى إِنْشَادِ الشِّعْرِ؟ وَلِمَاذَا؟

س26: أَيْـنَ وَكَيْفَ اسْتُشْـهِدَ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَـةَ» ﷺ ؟ وَمَا أَثَرُهُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ؟

س27: مَتَى أَسْلَمَ «الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ» ﷺ ؟ وَمَا قَرَابَتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

س28: مَاذَا فَعَلَ «الزُّبَيْرُ» ﷺ حِينَمَا ذَكَّرَهُ «عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» ﷺ بِحَدِيثِ لِلنَّبِيِّ ﷺ؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س29: مَـا الرُّؤْيَـا الَّتِي رَآهَا «خَالِدُ بْنُ سَـعِيدٍ» ﷺ وَكَانَتْ سَـبَبًا قَوِيًّا فِي إِسْلَامِهِ؟

س30: أَيْنَ وَمَتَى اسْتُشْهِدَ «خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ» ﷺ ؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س31: أَيْـنَ بَرَكَتْ نَاقَةُ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ بَعْـدَ الْهِجْرَةِ؟ وَفِي بَيْـتِ مَنْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ؟

س32: مَـا وَصِيَّةُ «أَبِـي أَيُّوبَ الْأَنْصَـارِيِّ» ﷺ قَبْلَ مَوْتِـهِ؟ وَلِمَاذَا وَصَّى بِذَلِكَ؟ وَهَلْ تَمَّ تَنْفِيذُهَا؟

س33: مَـا الْمَوْقِفُ الْبُطُوليُّ الْفِدَائِيُّ الَّـذِي قَامَ بِهِ «الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ» ﷺ فِي مَوْقِعَةِ الْيَمَامَةِ؟

س34: كَيْفَ أَنْقَذَ «الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ» ﷺ أَخَاهُ «أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ» ﷺ مِن مَوْتٍ مُحَقَّقٍ؟ وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س35: «آخَى الرَّسُـولُ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِيـنَ وَالْأَنْصَـارِ، وَحَدَثَتْ مَوَاقِفُ رَائِعَةٌ سَـجَّلَهَا التَّارِيخُ بِحُرُوفٍ مِنْ نُـورٍ» اذْكُرْ مَا حَدَثَ مَعَ «عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ» ﷺ . وَعَلَامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟

س36: «كَانَ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ» ﷺ سَـخِيًّا جَوَادًا» اذْكُرْ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ .

س37: كَيْفَ أَسْلَمَ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» ﷺ ؟ وَلِمَاذَا كَانَ إِسْلَامُهُ نَصْرًا لِدِينِ اللَّهِ؟

س38: «كَانَ لِـ «سَـعْدِ بْـنِ مُعَاذٍ» ﷺ مَوَاقِفُ لَا تُنْسَـى فِي الْغَزَوَاتِ الَّتِي شَهِدَهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ» اشْرَحِ الْعِبَارَةَ السَّابِقَةَ مَعَ التَّمْثِيلِ.

س39: «كَانَ «زَيْـدُ بْـنُ الْخَطَّـابِ» ﷺ بَاحِثًا عَنِ الشَّـهَادَةِ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ خَاضَهَا». اشْرَحْ هَذِهِ الْعِبَارَةَ مِنْ خِلَالِ سِيرَتِهِ ﷺ .

س40: فِي أَيِّ مَعْرَكَـةٍ اسْتُشْـهِدَ «زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ ؟ وَكَيْفَ اسْـتَقْبَلَ أَخُوهُ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ﷺ خَبَرَ اسْتِشْهَادِهِ؟

س41: مَنْ هُوَ الْأَنْصَارِيُّ الْوَحِيدُ الَّذِي عَذَّبَتْهُ قُرَيْشٌ بِسَبَبِ إِسْلَامِهِ؟ وَمَتَى وَكَيْفَ حَدَثَ هَذَا؟

س42: لِمَاذَا دَعَا الرَّسُولُ ﷺ لِـ «سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ» ﷺ ؟ وَبِمَاذَا دَعَا لَهُ؟

الْمُـؤَلِّــفُ

- أُسْتَاذُ التَّرْبِيَةِ بِجَامِعَةِ حُلْوَانَ.
- حَائِـزٌ عَلَى جَائِـزَةِ الدَّوْلَةِ التَّشْـجِيعِيَّةِ فِي أَدَبِ الْأَطْفَالِ عَنْ قِصَّـةِ الْخَيَالِ الْعِلْمِيِّ «مُخْتَارٌ فِي أَعْمَاقِ الْبِحَارِ».
- حَائِزٌ عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْجَوَائِزِ عَنْ قِصَصٍ وَمَسْرَحِيَّاتٍ لِلْأَطْفَالِ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ.
- صَدَرَتْ لَهُ عَشْرُ قِصَصٍ تَحْتَ عُنْوَانِ «اللَّهُمَّ قَوِّ إِيمَانِي».
- كَمَا صَدَرَتْ لَهُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ فِي مَجْمُوعَةٍ تَحْتَ عُنْوَانِ «نَحْوَ شَخْصِيَّةٍ نَاجِحَةٍ».
- وَصَدَرَ لَهُ كِتَابُ «أَصْحَابٌ بِجِدٍّ» يُؤَكِّدُ عَلَى تَرْسِيخِ الْوَحْدَةِ الْوَطَنِيَّةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الشَّعْبِ الْمِصْرِيِّ، وَكِتَابُ «أَبْطَالٌ بِجِدٍّ» عَنْ ثَوْرَةِ 25 يَنَايِرَ الْمَجِيدَةِ.
- لَهُ بَرَامِجُ مَنْشُورَةٌ عَنْ تَنْمِيَةِ الِابْتِكَارِ وَالْخَيَالِ الْعِلْمِيِّ لَدَى الْأَطْفَالِ.
- صَـدَرَتْ لَـهُ رِوَايَةُ «حَكِيمٌ وَذَهَـبٌ»، وَرِوَايَةُ «وِسَـامٌ وَأَمِيرَةُ الْأَحْـلَامِ» فَانْتَازْيَا الْوَصَايَا السَّبْعِ.
- صَدَرَ لَهُ ضِمْنَ سِلْسِلَةِ « 30 حِكَايَةً لا تُنْسَى» كِتَابُ «حِكَايَاتُ فِرْفِرْ وَأَصْحَابِهِ»، وَكِتَـابُ «مِيـدُو وَأَحْلَامُـهُ الْعَجِيبَةُ»، وَكِتَـابُ «أَرْوَعُ مَا قَالَهُ جَـدِّي وَجَدَّتِي» فِي جُزْأَيْنِ، وَكِتَابُ «حَيَوَانَاتٌ وَحِكَايَاتٌ»، وَكِتَابُ «أَطْفَالُكَ نُجُومُ الْمُسْتَقْبَلِ».
- عُضْوُ اتِّحَادِ الْكُتَّابِ الْمِصْرِيِّينَ، وَعُضْوُ نَادِي الْقِصَّةِ، وَعُضْوُ اللَّجْنَةِ الْعِلْمِيَّةِ لِمَرْكَزِ تَوْثِيقِ وَبُحُوثِ أَدَبِ الْأَطْفَالِ.
- أَشْـرَفَ وَنَاقَشَ عَشَرَاتِ الرَّسَـائِلِ الْعِلْمِيَّةِ عَلَى مُسْتَوَى الْمَاجِسْتِيرِ وَالدُّكْتُورَاهِ فِي مَجَالِ أَدَبِ الْأَطْفَالِ.